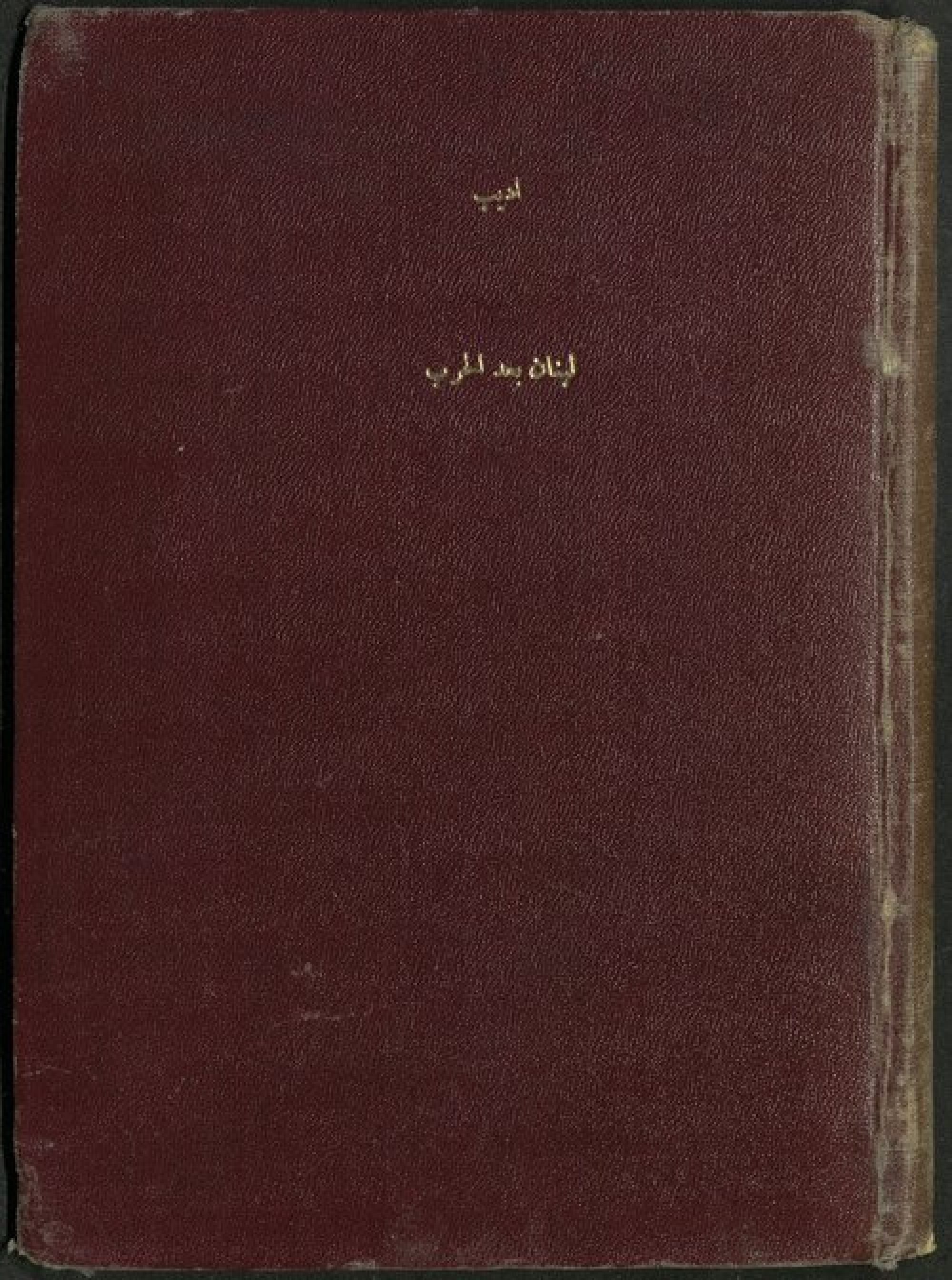
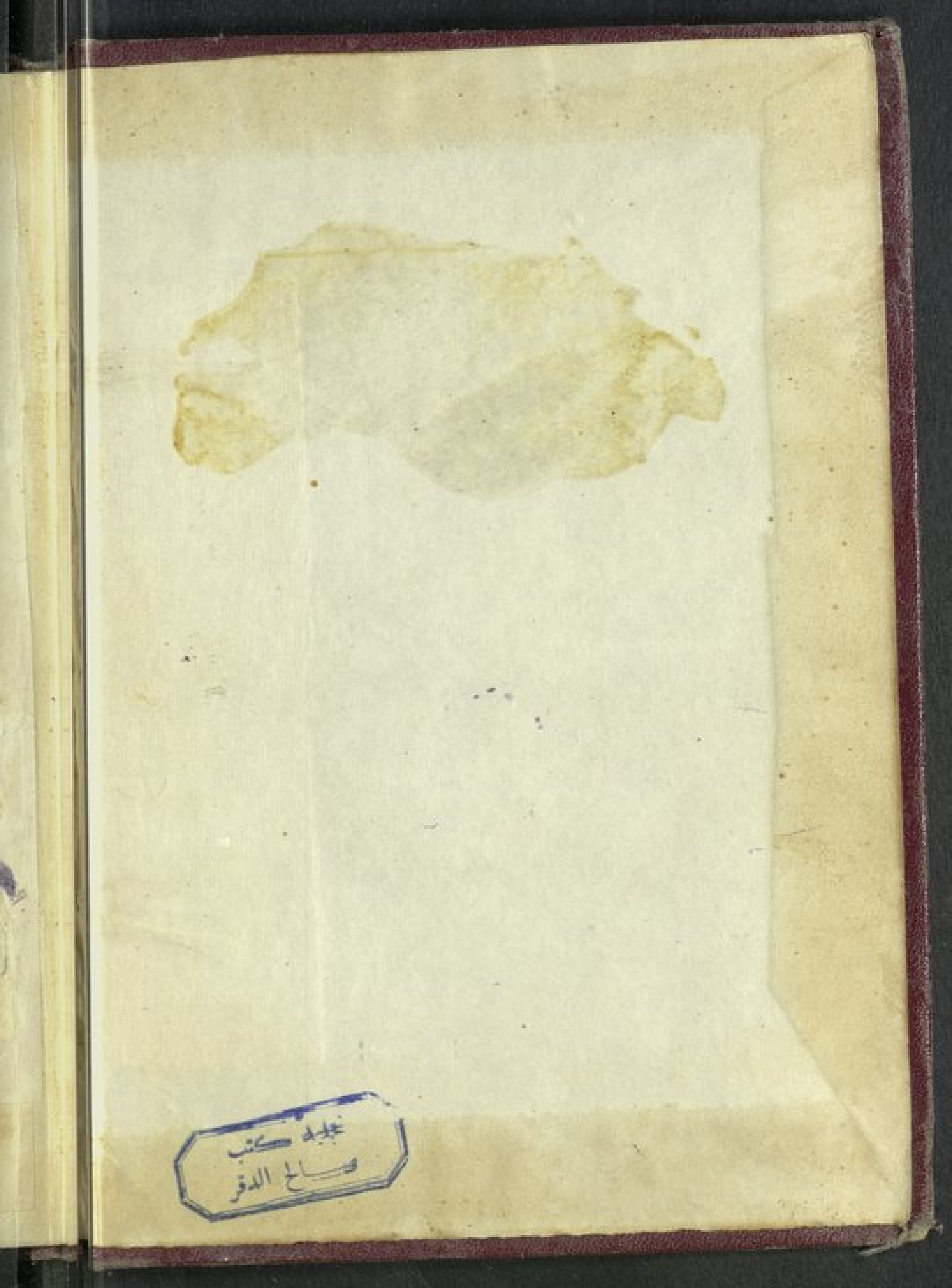
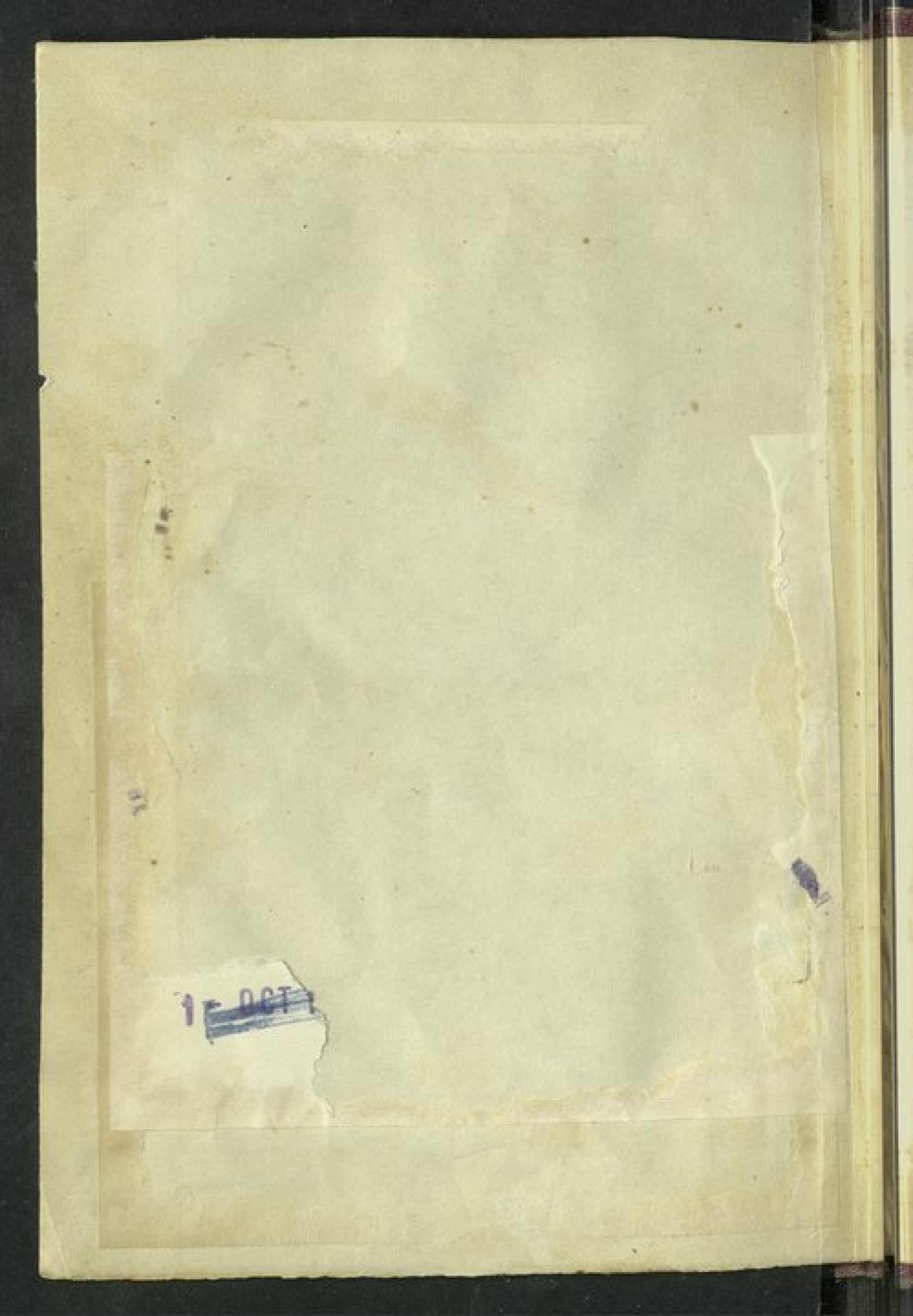
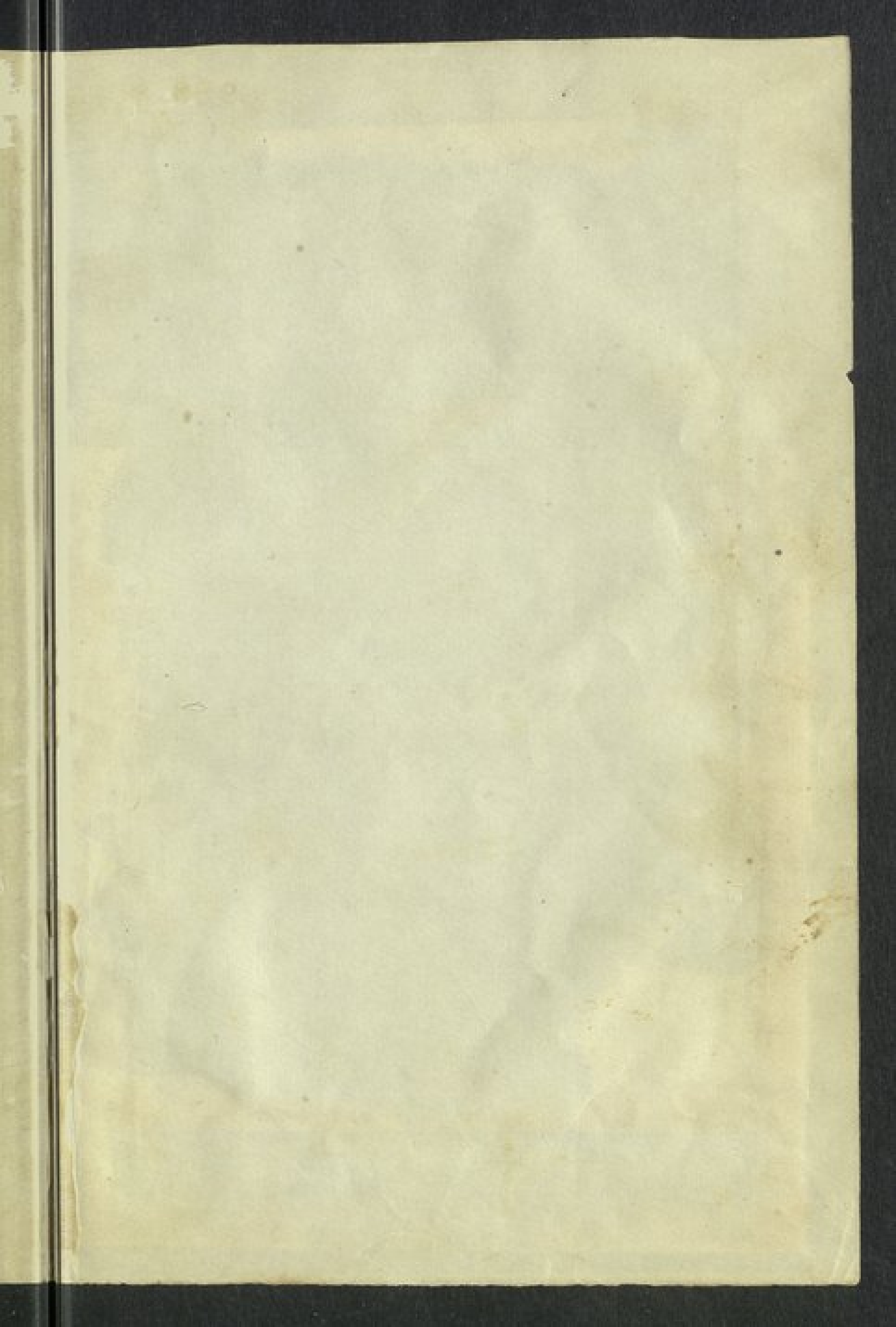

اديب
لبنان بعد الحرب


مجلد كتب
صالح الدقر





لبنان بعد الحرب

كتاب وضعه بالافرنسية

اوغست اديب باشا

وعرّبه

الشيخ فريد حبيش

يطلب من ملتزم طبعه ونشره

نجيب متري

صاحب مطبعة المعارف ومكتبتها بمصر

١٩١٩

مطبعة المعارف بشارع الفجالة بمصر

صوتُ الماضي (١)

سلوا التواريخ عن لبنان كم كانا — بأهله زاهياً بالمجد مزدانا

كانت لنا فيه آباء ذوو همم — لو صادموا صخرةً من بأسهم لانا

كانت لنا فيه أجداد غطارفة — عاشوا كراماً أُباة الضيم شجعانا

تشربوا حبَّ الاستقلال مذ ولدوا — فباتَ كلٌّ بالاستقلال ولهانا

لم يرقُدوا تحت ذلٍ في حياتهمِ — ولم يهابوا لجيش الظلم طُغيانا

مرَّ الغزاة بهم من كل ناحيةٍ — فلم يدينوا خنوعاً مثل من دانا

لم يرهبوا جيشَ غازٍ رام قهرهمُ — ولم يبالوا رجالاتٍ وفرسانا

بل نازلوا تارةً مجتاحَ أرضهم — بالسيف واعتصموا بالنجد أحيانا

وحاربوا الروم واليونان قبلهم — وقاوموا العُربَ والأتراكَ أزمانا

فنعم أجدادنا الأبطال من رفعت — غرُّ الفعال لهم بين الورى شانا

ان التراب الذي يحوي رفاتهمُ — عن المذلة للأعداء ينهانا

***

من رمس أجدادنا صوت يهيب بنا — « فدّوا بأرواحكم والمالِ لبنانا

« صُنّا حمانا من الأعداء وانسكبت — دماؤنا في سبيل العز قربانا

« والأرز يروي وصنّين يؤيده — كم اعتززنا وكم كدنا لأعدانا

---

(١) تليت في الحفلة الكبرى التي أقامتها جمعية الاتحاد اللبناني في فندق الكونتيننتال يوم ٧ يوليو سنة ١٩١٨

« وكم خففنا الى المستنجدين ولم نطلب لغالي الدم المهراقِ أثمانا

« فان تخونوا عهوداً في امانتكم فلن تكونوا طوالَ الدهرِ أبنانا

« ان الدماء التي فيكم مقدسة تأبى الهوان فأنتم من بقايانا

« الابن ينشا على ما كان والده ما لم يكن غادراً للعهـد خوّانا

« وهذه وصيةٌ منها نعيذكمُ فقد عرفناكمُ للنبل عنوانا »

* * *

أجدادَنا دمُنا الجاري بنا دمكم ولن يزالَ بحبِّ المجدِ ملآنا

ولن ندنسه مهما ألمَّ بنا من الخطوبِ وصرف الدهر عادانا

إنّا ورثنـا حمى لبنان في سعةٍ عالي الذرى وبالاستقلال مزدانا

فلن نورّثه يوماً خلائفنا الّا أعز مقاماً أو كما كانا

ولن نورثه يوماً كما كانا الّا اذا شلت الأقدارُ مسعانا

انّا بنوكم واهلٌ أن نكون كذا وسوف يشهد يوماً كل أعدانا

وكيف نرضى بذلٍ في الحياة ومن تحمل الذل طوعاً ليس انسانا

نفدي بأرواحنا والمال لبنانا لا عاش منـا فتىً لم يفدِ لبنانا

فريد حبيش

كلمة للاتحاد اللبناني

حقوقٌ مهضومة ، وامتيازاتٌ مسلوبة ؛ نظامٌ أبتر سَلَخَ عن الجبل سهولَهُ وثغورَه فضيّق عليهِ منافس الحياة ، وأدال في الواقع من أُمرائهِ الوطنيين حكّامًا تصرّف بعضهم في البلاد حتى أفقدها استقلالها العريق أو كاد : هذا ما آل اليه لبنان قبل الحرب!

تجويعٌ وتقتيل وتخريب ، مظالم وفظائع ومنكرات جعلت الجبل ضحيّةً داميةً من ضحايا عراك الجبابرة ، وكفّنته – وهو مُحتضَر – بما بقيَ من أسمال استقلالهِ الممزّق : ذلك هو لبنان في أثناء الحرب

ولبنانُ بعد الحرب . . ؟

اذا كان للأُمم اليوم أن تبني آمالها بالمستقبل على قاعدة ما أصابها من حَيفٍ فادح قبل الحرب ، ومن ويلاتٍ جسام في أثناء الحرب ، فللبنان أن يشيد صرحَ الآمالِ الكبار

أمّا جمعية « الاتحاد اللبناني » فقد دارجت لبنان في أطوارهِ الثلاثة :

طالبت باسمهِ قبل الحرب بالحق المضيَّع ، والإصلاح المرجّى ؛

واستنجدت لهُ في أثناء الحرب أهلَ النخوة والمروءة للإعانة بالمال والرجال ؛

ولا تزال في يومِها ، كما كانت في أمسها ، تطالب باستقلالهِ ، في منبسط حدودهِ ، مكفولاً من الدول العظمى

وما هذا الكتاب الذي تتقدّم به اليومَ الى الجمهور اللبناني ، في الوطن

وفي المهجر، سوى أثر من آثار جهادها ودفاعها عن القضية الوطنية الكبرى.

زفَّ هذا السِفرَ الى رجالِ الغربِ بحلّةٍ فرنسوية أنيقة رئيس «الاتحاد اللبناني» سعادة أديب باشا، الوطنيّ الغيور، متوخياً فيه الايضاح مع الايجاز والسهولة مع التدقيق، فقابلهُ الجمهور بارتياح. وقد عهدت الجمعية الى أحد أعضاء مجلس ادارتها الأديب اللبناني الشيخ فريد حبيش في إلباسهِ بردةً عربيّةً رغبةً في تعميم انتشاره بين أبناء لبنان.

وما غاية «الاتحاد اللبناني» من نشر هذا الكتاب باللغة العربية بعد صدورهِ باللغة الفرنسوية إلاَّ زيادة تعريف لبنان الى اللبنانيين والأجانب، فيزدادُ الفريقُ الأوَّل تعلقاً بهِ وتفانياً في سبيلهِ، ويزدادُ الفريق الثاني عطفاً عليهِ وإنصافاً لهُ

السكرتير العام للاتحاد اللبناني
انطون الجميّل

القاهرة في ٣١ ايار سنة ١٩١٩



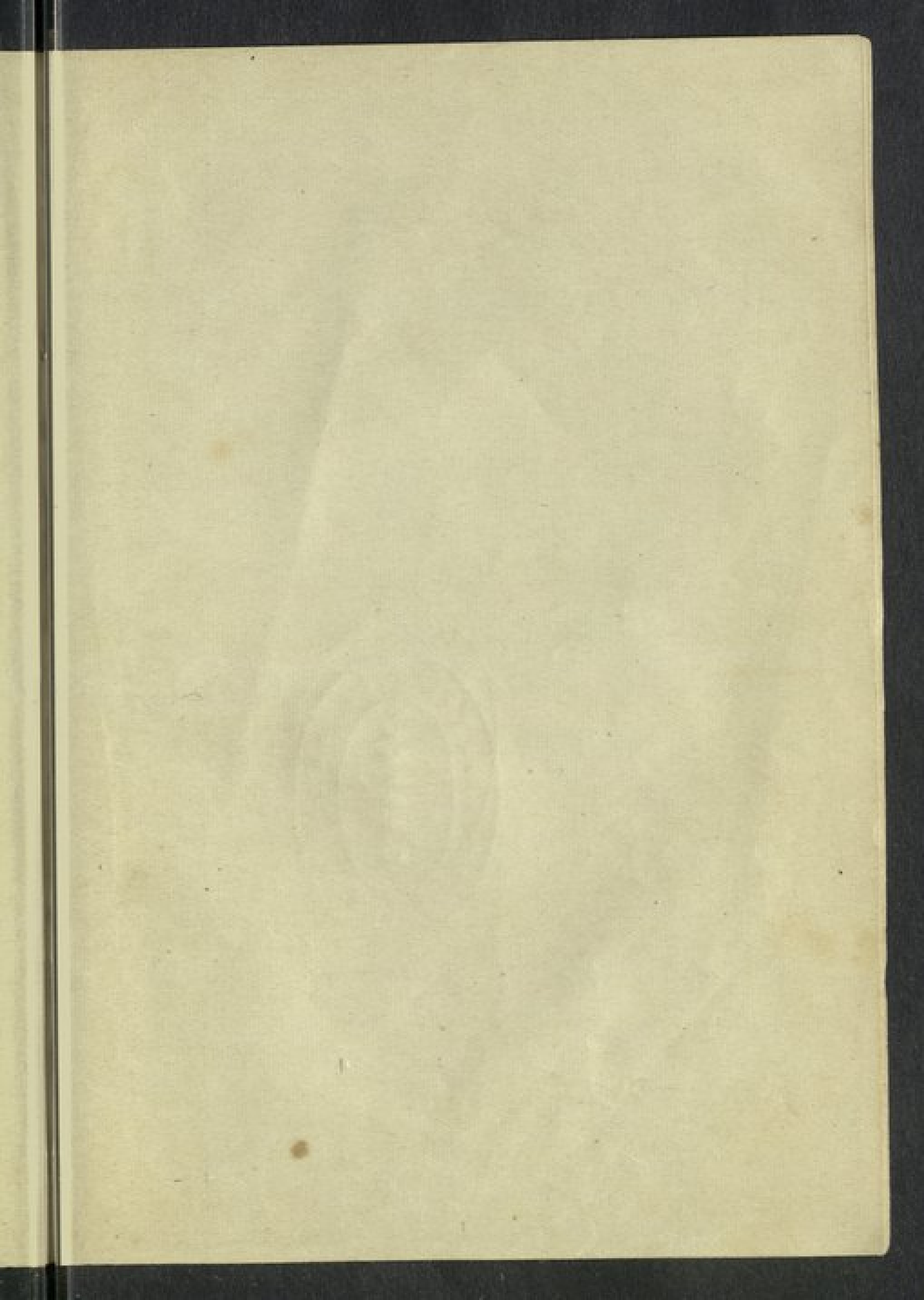
مقدمة المؤلف

قد يتبادر الى ذهن من يُلقي نظرةً على مشتملات هذا الكتاب أن المؤلف قد توخَّى فى تأليفهِ وَضْعَ سِفرٍ جامع شامل يتناول بالتفصيل تاريخ لبنان وجغرافيتهُ وشؤونه الاقتصادية وحالة شعبهِ وطريقة الحكم السياسي فيه. غير ان المؤلّف لم يرمِ الى ذلك فان كُتّاباً غيرهُ قد طرقوا هذه الابحاث وجلُّ ما أراده وصفُ لبنان وصفاً إجماليًا يُميط اللثام عن محاسنه الطبيعية ويُظهر همّة سكانهِ وقد عرفوا أن يصونوا استقلالهم الذاتي على كرّ الدهور معتقلين في جبالهم الشامخة محولين سفوحها الصخرية الى مزارع خصبة. وقد قصد المؤلف بنوعٍ خاص أن يوجّه الانظار الى ذلك الشعب اللبناني الصغير الذى اشتهر أمره بما قاساه من صنوف الآلام وبما أضمرهُ له خصومه من تنظيم ابادته انتقاماً منه على تعلقهِ بقضية الأمم المتحالفة وتمسّكه بمبادئ الحرية والمدنية التى نادت بها تلك الأُمم

هذا ما قصده المؤلّف أمّا ما يتمناه فهو أن يكون في هذا الكتاب ما يساعد على جعل لبنان موضوع عطف تلك الدول الكبرى التي ضمنت فيما مضى امتيازاتهِ واستقلالهُ الاداري وأن يؤدي الى تحقيق أمانيه الوطنية

اوغست اديب

القاهرة في شهر اغسطس سنة ١٩١٨



الفصل الأول

لمحة جغرافية

لبنان سلسلة من الجبال في سوريا الوسطى واسمه مشتق من بياض قننه التي يغطيها الثلج مدة شطر من السنة وهو واقع بين الدرجة ١٩′, ٣٣° و ٤٠′, ٣٤° من العرض الشمالي والدرجة ٥٤′, ٣٢° و ١٥′, ٣٤° من الطول الشرقي (أو ١٤′, ٣٥° و ٣٥′, ٣٦° من مقياس غرينتش) وتمتد جباله على الشاطئ الشرقي للبحر الأبيض المتوسط من وادى النهر الكبير في الشمال الى نهر الليطاني في الجنوب ويطلق على هذا النهر في أسفل مجراه اسم نهر القاسمية. أما فروع جبل لبنان فتمتد جنوباً حتى حيفا وخط سكة الحديد الذى يصل حيفا بدمشق الشام وتغطي كل بلاد الجليل. وينحدر سفح جبال لبنان الغربي انحداراً خفيفاً نحو البحر الذى تفصله عنه سهول فينيقيا ويتراوح عرض هذه السهول من ٢٦ كيلومتراً الى أقل من مائة متر. وفي بعض المواضع ينتهي ذلك السفح بجدار صخري يغطس في البحر. أما السفح الشرقي لسلسلة جبال لبنان الكبرى فينحدر انحداراً سريعاً نحو سهل بعلبك شمالاً وسهل البقاع جنوباً وهذان السهلان اللذان يفصلان لبنان عن الجبل الشرقي (او انتلبنان) يؤلفان منبسطاً مستطيلاً يبلغ ارتفاعه ٦٠٠ متر تقريباً في الطرف الجنوبي و ١٢٠٠ متر عند مدينة بعلبك ثم يقل في اتجاهه نحو الشمال. ويؤكد بعض العلماء ان جبل لبنان والجبل الشرقي كانا في العصور السابقة للتاريخ سلسلة واحدة وان الأرض زلزلت فانخفضت ونشأ المنبسط المار ذكره وكان الأقدمون يسمونه سوريا المجوفة

ويبلغ طول جبال لبنان ١٦٥ كيلومتراً تقريباً وعرضها أربعين كيلومتراً في القسم الشمالي ولكن هـذا العرض يقل شيئاً فشيئاً في الجنوب بحيث لا يبلغ متوسطه اكثر من ثلاثين كيلومتراً . أما اذا نظرنا الى مجموعة سلسلة جبال لبنان أي مع اضافة الجبل الشرقي اليها فان متوسط عرضها لا يقل عن ٦٥ كيلومتراً

واذا نظر المسافر الآتي من جهة البحر الى جبل لبنان بدا له لبنان قنة طويلة معظمها أجرد ويتخللها شقوق عميقة تسيل في قاعها أنهر وسواق وتنتثر فيها قرى ذات منازل بيضاء ونكت خضراء يكثر فيها شجر التوت والزيتون بلونه الزاهي وأشجار الغابات بلونها القاتم . أما على الشواطئ والسفوح المجاورة لها فان المنظر أزهى لما هناك من الحقول والحدائق والمزارع التي يتلو بعضها بعضاً وتريح نظر المتفرج من كربة منظر المنطقة العليا

وهيكل جبال لبنان مكوّن من حجر كلس صلب ضارب الى البياض وتحته الحجر الرملي . ونتوء الأرض يزداد ظهوراً كلما اتجهت شمالاً . وفي المنعطف ذي الزاوية المستقيمة الذي يرسمه نهر الليطاني قبل أن يتجه غرباً ترى جبل الشقيف الوعر على ارتفاع ٦٧٠ متراً فوق سطح البحر وعلى قمة ذلك الجبل قلعة مهدمة ترجع الى عهد الصليبيين وكان يومئذٍ يطلق عليها اسم بلفور أو بوفور . وبعد ذلك شمالاً يوجد جبل جرمق وجبل ريحان وعلى خط صيدا تقريباً على بعد ٢٤ كيلومتراً في خط مستقيم من تلك المدينة الى الجهة الشرقية يبدو في الأفق جبلا تومات نيحا البالغ علوهما ١٨٥٠ متراً وهما جبلان يؤلفان جزءاً من سلسلة جبل نيحا وكانا في سالف العصور علم هدى للبحارة . والى شمال جبل نيحا جبل الباروك الذي تبلغ أعلى قمة فيه اكثر من ألفي متر

وبين جبل الباروك وجبل الكنيسة الذى يبلغ أعلى ارتفاع فيه ٢٠٣٢ متراً مضيق ظهر البيدر وعلوه ١٥٤٢ متراً وفيه تمر طريق العربات وخط سكة الحديد اللذان يصلان بيروت بدمشق الشام . وفي أواسط لبنان على بعد ٣٥ كيلومتراً شرقي بيروت جبل صنين الذى يبلغ علوه ٢٦٠٨ أمتار وهو على شكل مثلث والى الشمال منه جبل المنيطرة وعلوه ٢٩١١ متراً ثم جبل المكمل وأعلى قنة فيه هي ظهر القضيب البالغ علوه ٣٠٦٣ متراً وفم الميزاب والمكمل اللذان لا يقلان عن الأول ارتفاعاً . وعلى احد سفوح جبل المكمل على علو ١٩٢٥ متراً أرز لبنان الشهير الذى يبلغ عدد أشجاره اربعمائة تقريباً وهي من البقايا القليلة الباقيـة من غابات الأرز الواسعة التي كانت فيما مضى تغطي جبال لبنان . وبين تلك الأشجار اثنتان يبلغ محيط الواحدة منهما ١٤ متراً ونصف متر وعلوهما ٢٥ متراً وعمرهما اكثر من ثلاثة آلاف عام . وجبل عكار الذى ينتهي آخره في وادى النهر الكبير هو الطرف الشمالي لسلسلة جبل لبنان

وأما سلسلة الجبل الشرقي (أو انتلبنان) فتمتد موازية لسلسلة جبل لبنان وطول السلسلتين واحد تقريباً وأهم قنن الجبل الشرقي هي شمالاً جبل قاره وجبل حليمه وجبل النبي باروخ وفي الوسط جبل الشقيف الذى يبلغ علوه ٢٠٧٥ متراً وجنوباً جبل الزبداني وجبل الشيخ أو جبل حرمون الذى تبلغ أعلى ذروة منه ٢٨٦٠ متراً ارتفاعاً وتمتد فروع الجبل الشرقي الأخيرة من الجهة الشرقية الى ما وراء دمشق الشام ويتألف معظم صخره من حجر الكلس على ان جزءاً من جبل الشيخ مكوّن من حجار بركانية

*
* *

في ساحل لبنان منفرجات قليلة التجوف فهو بعد أن ينكمش ليؤلف جون عكار الواسع يمتد في البحر بشكل رأس قامت عليه مدينة طرابلس وانشطرت منه جزيرات عديدة كالنطاق أمام الميناء ثم نرى بعد ذلك جنوباً رأس الناطور ورأس الشقعة (رأس مادون وقديماً ثيو بروزوبون) وهو مجموعة صخور طولها أكثر من كيلومترين وعرضها كذلك وارتفاعها ٢٥٠ متراً تقريباً . وبعد أن يمتد الساحل ٣٥ كيلومتراً تقريباً على خط مستقيم يتقوّر بشكل نصف دائرة قطرها أربعة كيلومترات تقوم على كتفها مدينة جونية . ومدينة بيروت قائمة على رأس طوله ١٠ كيلومترات تقريباً من الجهة الشمالية ويستدير في الطرف حيث يبدو منعطف بارز قليلاً ثم يمتد الساحل جنوباً بشكل بسيط الى أن يبلغ مصب نهر القاسمية

*
* *

ان مجاري المياه في لبنان هي في الغالب شديدة سريعة ينبع أكثرها في جبال مرتفعة ثم تنحدر انحداراً عظيماً لقصر مجراها من المنبع الى المصب وفي الشتاء تسيل كميات عظيمة من المياه حاملة تراباً تجرفه الأمطار من جوانب الصخور الجرداء فيتراكم على مصب الأنهر أما في الصيف فتكاد تجف أكثر تلك المجاري أو لا يسيل فيها الا ماء قليل يستعمله الأهالي الذين على جوانب المجاري لري أطيانهم أو لادارة مطاحن غلال . وليس في كل لبنان نهر يصلح للملاحة

على ان نهر الليطاني (أو ليونتس) الذي يطلق عليه عند أسفل مجراه اسم نهر القاسمية ليس كسائر مجاري المياه التي تسقي لبنان وتعد من أنهر

الشواطئ بل هو طويل وماؤه كثير. ينبع على السفح الشرقي لجبل المكمل وبعد أن يروى جانباً من سهل بعلبك ويمر في طول سهل البقاع متجهاً من الشمال الشرقي الى الجنوب الغربي يلتوي فجأة الى الغرب ويجرى حتى يصل الى البحر الأبيض المتوسط بعد مسير ٣٠ كيلومتراً ومصبه على بعد ٨ كيلومترات تقريباً من مدينة صور من جهة الشمال. ويبلغ طول مجراه الكثير التعرج ١٨٠ كيلومتراً تقريباً وينصب فيه من الجانبين عدة أنهر يليق بنا أن نذكر منها البردوني الذى يهبط من صنين وبعد أن يروى مدينة زحلة ويسير بجانب مدينة المعلقة ينصب في الليطاني بالقرب من بار الياس. ونهر الليطاني يسيل في سهول بعلبك والبقاع بكل هدو فينبسط على السهول الواقعة في جانبيه ثم يصير ضيقاً عميقاً وتمر مياهه المتدفقة من تحت صخر جعلته جسراً طبيعياً

وينبع نهر الزهراني من جوانب جبل نيحا على بعد عشرة كيلومترات من جزين شرقاً ويتجه أولاً جنوباً بغرب ثم يدور فجأة شمالاً بغرب مكوناً زاوية حادة ثم يندفق فى البحر على بعد ٧ كيلومترات من صيدا جنوباً ومياهه قليلة ولا سيما في الصيف ويبلغ طوله ٤٠ كيلومتراً تقريباً

والى شمال صيدا على بعد ٥ كيلومترات مصب نهر الأولي (بوستر ينوس) الذى ينبجس في السفح الغربي لجبل الباروك ويطلق عليه قبل التقائه بنهر جزين اسم نهر الباروك وتروى مياهه الأراضي الواقعة على جانبيه وبساتين البرتقال والليمون الشهيرة التي تغطي السهل الواقعة فيه تلك المدينة الفينيقية القديمة ويستقي أهلها أيضاً من مياهه ويبلغ طول هذا النهر من منبعه الى البحر الأبيض ٤٥ كيلومتراً تقريباً

وينبع كذلك في السفح الغربي لجبل الباروك نهر الدامور (تاميراس)

ويعرف بنهر الصفا الى أن يبلغ جسر القاضي وهو جسر طريق العربات بين
بيروت ودير القمر وهناك تنصب فيه مياه فروعه . وفوق ذلك الجسر على بعد
بضعة كيلومترات فوق تل الى يمين النهر دير عين تراز وهو مصيف بطريرك
طائفة الروم الكاثوليك . ونهر الدامور هذا يسيل في كل طول مجراه تقريباً في
واد عميق ويصب في البحر الأبيض في وسط المسافة بين بيروت وصيدا
بعد أن يروي مزارع أشجار التوت الخصبة في معلقة الدامور ويبلغ طوله
٣٥ كيلومتراً تقريباً

ونهر بيروت يُظن انه هو الذى كان الأقدمون يسمونه ماغوراس وهو
يتألف من نهر صليما ونهر حمانا عند ما يلتقيـــان والأول ينبع على قدم جبل
صنين الى جهة الذروة الجنوبية من مثلث ذلك الجبل والثاني ينبثق في سفح
جبل الكنيسة الغربي ومع ان هذين النهرين تندفق فيهما أنهر أخرى عديدة
تؤخذ كل مياههما تقريباً للري حتى ان نهر بيروت يكاد ينشف عند أسفل
مجراه في فصل الصيف . ويتجه النهران نحو الغرب وبعد أن يلتقيا يلتوي
نهر بيروت التواء عظيماً منحرفاً شمالاً قبل أن يندفق في البحر على بعد
كيلومترين شرقي بيروت ويبلغ طول المجرى من منبع نهر صليما الى مصب
نهر بيروت أربعين كيلومتراً . ولا تزال توجد خرائب قناة كانت تجتاز النهر
على بعد ٧ كيلومترات تقريباً من الجهة الجنوبية الشرقية لمدينة بيروت وتصل
من أحد جانبي النهر الى الجانب الآخر القساطل التي كانت تسيل فيها مياه
الشرب الى تلك المدينة وهذه القناة التي يقال ان الرومانيين هم الذين بنوها
كانت مؤلفة من ثلاثة صفوف من القناطر بعضها فوق بعض وكان ارتفاعها
عظيماً ويسميها الناس قناطر زبيدة . واذا سرت كيلومتراً واحداً الى الجهة

الشمالية الغربية من ملتقى نهرى صاليما وحمانا وجدت على ارتفاع ٦٧٠ متراً خرائب هيكل دير القلعة الروماني

ومن أنهر لبنان نهر الكلب (أوليكوس) الذى مع قلة مياهه وقصر مجراه يُعد من أشهر أنهر الشرق في تاريخ الحروب والغزوات في العصور القديمة ولاسيما نظراً للمضيق الواقع على ضفته اليسرى بالقرب من مصبه ذلك المضيق الذى لم يكن بد للجيوش المارة على شواطئ سوريا من اجتيازه ونظراً للوقائع العديدة التي حدثت عند هذا المضيق . وبالقرب من هذا المضيق على الصخور العالية القائمة على ضفتي نهر الكلب نجد نقوشاً بارزة وكتابات مصرية واشورية ويونانية ورومانية كادت تعبث بها أيدى الزمان وكتابة فرنسوية نقشت تذكاراً لمرور الحملة الفرنسوية التي ذهبت الى سوريا سنة ١٨٦٠ في ذلك المكان . ويوجد على الضفة اليسرى آثار طريق رومانية فوق طريق العربات الحالية والى شمال المضيق قناة رومانية قديمة تجرى فيها المياه التي تدير الطواحين المجاورة

وينبع نهر الكلب من مغارة جعيتا الواسعة التي لم يعرف آخرها الى اليوم على بعد ٩ كيلومترات من مصبه ولكن جداول كثيرة تصب فيه ومن تلك الجداول نبع اللبن ونبع العسل المشهوران ببرودة مائهما التي تبلغ درجتها ٤ أو ٥ بميزان سنتيغراد وهذان الجدولان يهبطان من قمة الجبل الذى يصل جبل صنين بجبل المنيطرة وقد حفرت مياه نبع اللبن بالقرب من منبعه تحت الصخر جسراً طبيعياً له قنطرة تبلغ فتحتها ثلاثين متراً وعلوها كذلك ومتوسط عرضها ٥ أمتار ويطلق الناس عليه اسم جسر الحجر واذا سرت غرباً الى بعد ٣ كيلومترات تقريباً من هذا النبع رأيت على ارتفاع ١٦٠٠ متر على تل

يسمى فقرة آثار معبد فينيقي عظيم وبرج مربع وبقايا بنايات أخرى قديمة

وقد حبس جزء من مياه نهر الكلب بعد خروجها من مغارة جعيتا بقليل لترتوي بها مدينة بيروت وبعد أن تمر هذه المياه في مجرى مكشوف كثير التعاريج كالنهر نفسه تدخل على بعد بضع مئات من الأمتار من مصبه في نفق محفور في الصخور التي تحجز النهر من الضفة اليسرى ثم تسير الى ضبية حيث أقامت شركة مياه بيروت على بعد كيلومترين من النهر جنوباً مرشحات تطهير وطلمبات قوية تدفع المياه نحو بيروت . واذا حسبنا المسافة من محل انبثاق نبع اللبن لا يكون مجرى مياه نهر الكلب أقل من ٣٠ كيلومتراً

واذا سرت شمالاً الى بعد ٨ كيلومترات تقريباً وجدت نهر المعاملتين الذي يندفق في خليج جونية وهو سيل يجرى فيه ماء غزير جداً في الشتاء حتى اذا أقبل الصيف نشف وظل كذلك طول فصل الصيف . وفوق ذلك النهر على بعد مائة متر تقريباً من شاطئ البحر جسر روماني لا يزال مصوناً الى اليوم وهو مبني بحجارة ضخمة مربعة لا يتخللها ملاط

ومن تلك الأنهر نهر ابراهيم أو ادونيس الذي كان أشهر من نهر ليكوس عند الأقدمين وكان الفينيقيون يكرمونه لانهُ كان في نظرهم مقدساً . ينبع هذا النهر من مغارة أفقا العميقة (أفيقا عند الأقدمين) المحفورة في صخر علوه من ٦٠٠ الى ٧٠٠ متر على سفح جبل المنيطرة الغربي ويوجد بالقرب من تلك المغارة آثار معبد شهير للالهة الزهرة ذلك المعبد الذى كان الأقدمون يحجون اليهِ وقد هدمهُ الأمبراطور قسطنطين ليمنع الخلاعات التى كان يرتكبها الناس هناك ويعتقد اكثر الناس أن ينابيع مغارة أفقا تستمد مياهها من بحيرة اليمونة الواقعة على السفح الشرقي لجبل المنيطرة على علو

١٣٧٥ متراً في منخفض بين الجبال وهذه البحيرة التي يبلغ طولها كيلومترين وعرضها كيلومتراً ونصف كيلومتر تبعد ١٢ كيلومتراً عن مغارة أفقا على خط مستقيم وبما أن الفرق بين سطحي هذين المكانين يبلغ ١٥٠ متراً يغلب على الظن ان مياه البحيرة فتحت لها طريقاً في الجبل الذي يفرق بينهما والذي فيه عدة تجاويف . وتحت أفقا على بعد بضعة كيلومترات غرباً يندفق في نهر ابراهيم نهر آخر يهبط من سفوح جبل المنيطرة أيضاً وقد حفرت مياهه في الصخر جسراً مقنطراً يمر عليهِ المسافرون قاطعين الوادى بين أفقا والعاقورة وبعد أن يندفق في نهر ابراهيم عدة أنهر أخرى يكثر ماؤه ولكن بما أن مجراه ضيق بين جبال عالية لا تستفيد الزراعة من ذلك الماء الاّ قليلاً وتوجد قناة مخربة بناها الرومانيون ليحجزوا هذا الماء فتستقي منهُ مدينة جبيل وطول مجرى نهر ابراهيم من مغارة أفقا الى مصبه على بعد ٦ كيلومترات جنوبي جبيل ٣٠ كيلومتراً

ومن تلك الأنهر نهر الجوز الذى يشتق اسمه من أشجار الجوز الكثيرة في وادى ذلك النهر وهو ينبع شمالي جبل المنيطرة ويتجه غرباً بانحراف يسير الى الشمال وبعد أن يقطع ٣٥ كيلومتراً تقريباً يصب في البحر على بعد أقل من كيلومتر شمالي البترون ومياهه تروى الأراضي الواقعة على جانبيه والمزارع الواقعة بقرب البترون ويكاد مجراه يكون ناشفاً عند مصبه في فصل الصيف

ومنها نهر قاديشا أو النهر المقدس الذى ينبجس على قدم فرع من جبل المكمل عليهِ غابة الأرز المشهورة ويتدفق مزبداً في مضيق ضيق قاحل ترتفع جوانبه عمودياً الى اكثر من ٥٠٠ متر وتتخللها عدة مغاور كان النساك يقطنونها

في العصور القديمة وعلى تلك الجوانب عدة أديرة منها دير قنو بين الذى كان مقر بطاركة الطائفة المارونية من الجيل الخامس عشر الى منتصف الجيل التاسع عشر ومن تلك الأديرة ما هو على عدة مئات من الامتار فوق بطن الوادى ومنها ما قد حفر بعضه في الصخور . ويتجه نهر قاديشا أولاً غرباً ثم يستدير ويرسم منعطفاً واسعاً تندفق في طرفه عدة أنهر فتزيد مياهه زيادة كبرى ثم يلتوى ويسير شمالاً بميلة الى الغرب وبعد أن يجتاز مدينة طرابلس يصب فى البحر على بعد كيلومترين شمالي تلك المدينة و٣ كيلومترات شرقي البلدة المسماة ميناء طرابلس ويطلق على نهر قاديشا في الجزء الاسفل منهُ اسم نهر أبي علي

ويوجد ثلاثة أنهر لا يذكر عنها شيء كثير وهي نهر البارد (بروتوس) ونهر عرقة ونهر عكار . تنبع الثلاثة في سفح جبل عكار الغربي ويبلغ طول مجرى الأول ٣٢ كيلومتراً وطول مجرى الثاني ٣٠ وطول مجرى الثالث ٣٦ تقريباً ومياه هذه الأنهر تروى السهل الخصب الذى كونته رواسبها بعد ان كان البحر يغمر موضعه وهو يمتد من طرابلس الى النهر الكبير

ومن تلك الأنهر النهر الكبير (ألوتيروس عند الأقدمين) الذى يتكوّن من نهرين الأول منهما ينبع في السفوح الشرقية من جبل النصيرية ويتجه من الشمال الى الجنوب والثاني ينبجس في السفح الشرقي لجبل عكار ويسير من الجنوب الى الشمال راسماً منعطفاً واسعاً وبعد التقاء ذينك النهرين ينثني النهر الكبير نحو الغرب وواديه هو الحد الشمالي لسلسلة جبل لبنان الكبرى وهذا النهر من اكبر أنهر لبنان فهو يروى السهل المؤلف من الطمي الذى يمتد على طول الشاطئ الى أقدام جبل النصيرية وواديه أحسن طريق لدخول سوريا الوسطى من جهة شاطئ البحر

ويوجد نهران يتصلان بنظام مياه الأنهر اللبنانية وهما نهر العاصي (أورونت) ونهر الاردن . أما الأول فينبثق في السفح الغربي للجبل الشرقي الى شمال بعلبك ويسقي السهل القائمة بعلبك في وسطه و بعد أن يتجه من الجنوب الغربي الى الشمال الشرقي يكوّن بحيرة حمص ثم يتجه شمالاً فيجتاز السهل الخصب الذى يحيط بحمص (إميز عند الاقدمين) تاركا هذه المدينة على يمينه ثم يرسم منعطفاً مزدوجاً في وسطه مدينة حماة (امات وايفانيا عند الأقدمين) ويعود يتجه شمالاً فيكوّن عدة مستنقعات متتابعة قامت على طرفها بلدة قلعة المضيق (ابامة عند اليونان وافامية عند العرب) ثم يستدير قبل أن يمر شمال مدينة انطاكية فيلتوى الى الجنوب الغربي وينصب في البحر على بعد بضعة كيلومترات جنوبي مدينة سلوقية سوريا بالقرب من مدينة السويدية . وقبل انطاكية يندفق في نهر العاصي نهر اكدينيز الذى تفرغ فيه مياه بحيرة انطاكية وهذه البحيرة تستمد مياهها من نهرى عفرين وقراصو . ونهر العاصي أهم أنهر سوريا ويزيد طول مجراه على ٤٠٠ كيلومتر

ونهر الأردن أو نهر الشريعة له ثلاثة ينابيع تنفجر في السفح الغربي لجبل الشيخ وهي نهر الحاصباني الذى يؤلف نهر الأردن الأعلى واسمه يشتق من مدينة حاصبيا الصغيرة التي ينبثق على مقربة منها ثم نهر بانياس الذى يخرج من صخرة على اقدام القلعة التي تشرف على قرية بانياس (سيزاريا فيلبي عند الأقدمين) ثم نهر اللدانى وهو أقصر هذه الأنهر الثلاثة ولكنه أغزرها ماء . ويسير الأردن من الشمال الى الجنوب فيجتاز أولاً بحيرة الحولة الصغيرة (مروم عند الاقدمين) ثم يهبط في منخفض بحيرة طبرية وهي على

٢٠٨ أمتار تحت سطح البحر الأبيض ويبلغ طولها ٢٧ كيلومتراً وعرضها ١٠ كيلومترات تقريباً وبعدئذٍ يتعرج مجرى الأردن تعرجاً كثيراً وبعد أن يجتاز مسافة ١٠٥ كيلومترات محسوبة على خط مستقيم ينصب في البحر الميت أو بحر لوط ذى الماء الشديد الملوحة والملآن قاراً وهذا البحر منخفض ٣٩٤ متراً عن سطح البحر الأبيض وطوله ٧٦ كيلومتراً وأعرض موضع فيه يبلغ ١٦ كيلومتراً. وطول مجرى الأردن ٣٥٠ كيلومتراً تقريباً

الفصل الثاني

المناخ والحيوان والنبات

طقس لبنان معتدل والهواء فيه نقي منعش وعلى السواحل والى علو ٧٠٠ الى ٨٠٠ متر لا ترتفع الحرارة الى ما فوق الدرجة ٣٤ أو ٣٥ بميزان سنتيغراد ولا يهبط الميزان الى ما دون الصفر الآ نادراً والبرد شديد في الشتاء في الجبال العالية وكثيراً ما يكسو الثلج منحدرات الجبال حلة ناصعة البياض على أنهُ لايوجد بين قمم لبنان ما يبلغ ارتفاعه الى الحدّ الذى تقتضيه نواميس الطبيعة ليكون الثلج دائماً فى كل فصول السنة فى البلاد الواقعة فى درجة العرض الجغرافى الواقع فيها لبنان ومع ذلك نجد حتى فى أشد أيام الصيف بعض مواضع مغطاة بالثلج فى أعالي الجبال غير أن هذا الثلج يبقى طول السنة لأنه يتجمع فى تجاويف لا يتعرض فيها كثيراً لحرارة الشمس

وبرود هواء لبنان فى فصل الصيف يجلب اليهِ الكثيرين من سكان مدن السواحل والمصريين . يأتون اليهِ ويقضون أشد شهور الصيف حرارة على أعاليه وسفوحه المعتدلة الارتفاع ولذا أنشئت فى جهاته الفنادق ومحلات الاصطياف التي تشرف على مناظر بهجة زاهية اذ يرى المتفرج من جهةٍ البحر وتعاريج الشاطئ والرياض وأشجار التوت والزيتون ومن جهة أخرى الاودية الخصبة والمناظر البديعة والوهاد العميقة التى تزبد فيها المياه المنحدرة على الصخور . وفرضة جونية فى الشتاء لا تقل فى لطافة مناخها عن أعظم مشاتي أوروبا مثل ضواحي نيس فى فرنسا وخليج نابولي فى إيطاليا

وتكثر الأمطار في الخريف والشتاء فتغذي العيون التي تتفجر في كل مكان على جوانب وأقدام الجبال والتي تحبس مياهها لأجل ري مزارع التوت والخضر والبقول والحدائق أو تتجمع لتولد الجداول والسيول والأنهر العديدة التي تكثر في جميع جهات لبنان . وتبلغ كمية المطر الذي يهطل في لبنان كل عام ما يناهز المتر علواً أما في الصيف فيصفو الجو صفاءً دائماً وقلما تهب عاصفة أو تهطل مزنة. على أنهُ قد يخيم الضباب على بعض العلو صباحاً ومساءً فوق بعض الهضاب المشرفة على البحر. والندى كثير في كل مكان يرطب النبات بعد أن تكون حرارة الشمس أذبلته

والهواء الشمالي في الشتاء شديد القر واذا ما هب الهواء صيفاً من جانب البحر برّد الجو ولكنه يشبعه رطوبة وقد تهب الريح أحياناً من جانب الصحراء أياماً متوالية فيكون الهواء لافحاً ويحمل غباراً ناعماً

***

في لبنان نفس الحيوانات الموجودة في جنوب أوروبا وشمال افريقيا ففيه من الحيوانات آكلة الحشرات القنفذ والخلد والخفاش . ومن الحيوانات القارضة السنجاب والفأر والأرنب. ومن آكلة الأعشاب التيس البري والغزال والخنزير البري ومن الضواري ابن عرس والنمس وعناق الأرض والثعلب وابن آوى والضبع والذئب والدب والفهد. ومن الزاحفات السلحفاة والحرذون والحرباء والحية والأفعى. وسباع الطيور هي النسر والباز والصقر والعقاب والبوم والغراب. ومن الطيور المائية البلشون والكركي والحُبارى ودجاجة الماء ودجاج الأرض . ومن طيور الحقل القبّرة والدوري والفرفر والصعو وعصفور التين والحسون والهدهد واليمامة والحجل والسماني الذي يهجر أوروبا عند ما يبدأ

البرد ويجتاز البحر . والخفافيش كثيرة في الخرائب والمغاور

وفي لبنان من الحيوانات الداجنة الحصان والبغل والحمار والجمل والثور والخروف والماعز والخنزير والكلب والقط . ومن الطيور الأهلية الدجاج والأوز والبط والديك الرومي والغرغر والحمام . ويعتنى أيضاً بتربية الأرانب مع هذه الطيور . ومن الحشرات البعوض والخنفساء والزنبور والزيز والصرصور وكثير من أنواع الفراش . ويليق بنا أن نذكر النحل الذي ينتج عسلاً جيداً جداً والجراد الذي قد يأتي أحياناً من الصحراء أرجالاً كثيفة تغطي وجه السماء وتأكل كل أخضر ويابس في كل مكان تسقط فيه في الحقول والغابات . وتربية دود القز هي أهم صناعة عند أهل القرى . أما العنكبوت وذوات الأربع والأربعين والعقارب فكثيرة

ويوجد في البحر على سواحل لبنان جميع أصناف الأسماك التي على سواحل فرنسا الجنوبية كالشبوط والسلطان ابرهيم والزليق وسمك موسى والبوري والسرطان والتوتيا الخ ويلتقط الأسفنج من الشواطئ بين طرابلس وجبيل ومجاري المياه تغص بالخنكليس وبأنواع الأسماك الخاصة بها أما الضفادع فيسمع نقيقها في جميع المستنقعات

* * *

أما نباتات لبنان فمختلفة تجمع بين نباتات البلاد المعتدلة ونباتات البلاد الحارة فترى في المروج شقائق النعمان والخشخاش البري وزهر القمح وزهر اللؤلؤ . ويزرعون في الحدائق الزنبق والياسمين وزهر العسل والريحان (الحبق) وعباد الشمس والسوسن والدهلية والنرجس والبنفسج والخطمية والورد والكامليا والقرنفل ورعي الحمام وعود الصليب وأبا النوم والفل . ويوجد من

أنواع الشجيرات الزعرور والآس والدفل واللزاب والطرفاء والنسرين والآس البري ومن أشجار الفواكه أشجار الكمثرى والتفاح والسفرجل والخوخ والمشمش والكرز والقراصيا والمشملة والجوز والبندق واللوز والتين والرمان والبرتقال ويوسف افندي والليمون والكباد والخروب والجميز والعناب والفستق والشاهبلوط (الكستنة) والبلح والقشطة وتين الشوك (الصبير) والموز والعنب والفراولة ويوجد في الغابات وحول المنازل وبجانب الطرق وعلى جوانب مجاري المياه أشجار الأرز والسنديان والعفص والميس والصنوبر والشوح والغار والشربين والسرو والأزدرخت والعرعر والسنط والزان والدردار والزيزفون والصفصاف والحور والدلب وفي كل مكان ترى أشجار التوت والزيتون الأ في أعالي الجبال

والحبوب التي تزرع في لبنان هي القمح والشعير والشوفان والذرة ويزرعون كذلك البطاطس والقلقاس والبنجر واللفت والباميا والجزر والفاصوليا والعدس والحمص والفول والكمون والنعنع. والنباتات الصناعية هي التبغ والقطن والكتان والنيل والحناء والزعفران . ومن النباتات العلفية البرسيم والفصفصة والباقية (كرسنة). ومن الخضر الكرنب والأرنبيط والخس والهندباء وقرة العين والجرجير والرجلة والبقدونس والهليون والخرشوف والسبانخ والبصل والثوم والكرات والفجل والطماطم والباذنجان والشمام والبطيخ والقرع والخيار. ويزرعون قصب السكر بجوار مصبات الأنهر حيث يكون الماء كثيراً

الفصل الثالث

الزراعة والصناعة والتجارة

ان تربة لبنان لا تصلح كثيراً للزراعة فان الأمطار التى تهطل تجوّف جوانب الجبال وتسيل فيها فتجرف طبقة التراب الزراعية الرقيقة وتحملها الى بطون الوديان ومصبات الأنهر فلا تبقى على الجبال الا الصخور جرداء وقد تكونت سهول البقاع وبعلبك الخصبة من التراب الذي جرفته أنهر لبنان وكذلك السهول التى تمتد على سواحل لبنان حيث قامت مدن طرابلس وبيروت وصيدا . على أن الفلاح اللبنانى يأبى الاّ أن يكدح كدحاً شاقاً فيفتت الصخر ويبني بحجارته مسطحات يغطيها بتراب يأتى به أحياناً من بعيد ثم يزرع فيها توتاً وأشجار العنب والزيتون والتين وسائر الفواكه . وانك ترى هذه المسطحات على جميع سفوح الجبال من بطون الوديان الى علو ١٥٠٠ متر وهي لعمر الحق دليل يشهد بصدق عزيمة شعب أرغمته الطبيعة الظالمة أن ينشئ بيديه الحقل الذى يستخرج منهُ طعامه

ولا يزال فن الزراعة في لبنان في الطور الفطري البسيط وطرقها هي بوجه العموم نفس الطرق التي كانت تستعمل في العصور الأولى تناقلها الأبناء عن الأجداد والآباء دون أن يدخلوا عليها التحسينات التي أوجدها العلم الحديث. وأدوات الزراعة هي من البساطة في مكان فالمحراث كناية عن قصبة (صمد) يشد اليها المقبض والبسخة القصيرة الحادة التى يوضع عليها سكة من حديد . فهذا المحراث الذي يكاد يكون مشابهاً لمحراث الفينيقيين يشق الأرض بكل

صعوبة دون أن يقلبها ودون أن يجعل جوفها يستنشق الهواء اللازم له . على أنهُ نظراً لبساطته وصلابته وخفته ربما يكون هذا المحراث أنسب الأدوات للشغل على السفوح الصخرية المنحدرة كثيراً . والنورج هو قطعة من الخشب طولها متر ونصف متر وعرضها متر تقريباً ملوية قليلاً من الطرفين وعلى صفحتها السفلى مسامير عريضة الرأس أو حصى وهذه الآلة يجلس فوقها الشخص الذي يسوق البهيمة وهو في الغالب ولد ويجرها حصانٌ أو ثور فتدور في الجرن (البيدر) فوق رزم الغلال وتكسر القش وتخرج الحبوب بفعل الثقل ثم يرفع كل ذلك في الهواء بواسطة مدراة فترمي الريح القش بعيداً وتسقط الحبوب التي هي أثقل من القش على الأرض

ولا يستعمل اللبنانيون من السماد الأسماد الثور والحصان والخروف والماعزة ولا يسمدون بهِ الاّ أرض التوت والزيتون وأشجار الفواكه والكروم والحدائق وجنائن الخضر والبقول أما الأرض التي تبذر فيها غلال فلا يسمدونها. ويكاد اللبنانيون يجهلون السماد الكيماوي

ولا نظام لتنسيق (مناوبة) المزروعات في لبنان فالغلال تبذر في نفس الأرض الى أن تدل الأرض بنقصان النتاج على أنها قد أجهدت وحينئذٍ يتركونها بوراً الى أن تستعيد خصبها الأول وهذه هي الطريقة الزراعية الاقتصادية التي تستعملها الشعوب في أول أطوارها وقد يكون سبب الاحتفاظ بهذه الطريقة في لبنان أن أجود الأطيان تخصص لغرس الأشجار الصناعية وأشجار الفواكه التي تبقى في الأرض دائماً وأن الأرض التي تبذر فيها الغلال انما هي بوجه عام أرض ضعيفة لا ينفق عليها الاّ القليل الزهيد

ويبذر القمح الذي هو أساس المؤنة والشعير الذي يستعمل مع التبن

لعلف بهايم الركوب والجر والحمل في كل مكان من لبنان يوجد فيه بين الصخور من التربة ما يؤمل ببعض المحصول. ولكن حاصلات هذين الصنفين لا تكفي الناس والبهايم ولا بد من استيراد كميات عظيمة منهما من سهول بعلبك والبقاع وحوران التي كانت اهراء المملكة الرومانية. أما المواشي فتأكل تبناً وباقية وأوراق توت. ولا يوجد في لبنان مروج ينشئها ويواليها الناس لتنتج علفاً للمواشي

ويبذر القمح نثراً باليد ومنذ يبذر الى أن يحصد لا يخدم أي خدمة والحصاد يكون بين مايو وسبتمبر حسب ارتفاع الأنحاء ويكون بالمنجل وقلما يُستعمل المحصد أما الحاصدة الميكانيكية فغير معروفة. ويستعمل القمح لصنع الخبز ويدش أيضاً بالرحى بعد أن يغلى وينشف ليصنع منه البرغل. وهذا البرغل يدق مع لحم الضأن في جرن وتصنع منه «الكبة» أو «الكبيبة» وهي اكلة خصيصة باللبنانيين والسوريين بوجه عام واذا نقع البرغل مدة عشرة أيام في اللبن الرائب ثم نشف وسحق صار «كشكاً» يخزن لأجل المؤونة

وأهم المزروعات في لبنان ما عدا الغلال هي – حسب أهمية نتاجها – أشجار التوت والزيتون والعنب والتبغ ثم أشجار الجوز والتين والبرتقال والليمون

في لبنان نوعان من شجر التوت الأول أسود مرغوب فيه لأجل ثمره فقط وهو شجر مستدير الشكل يبلغ من العلو من ٧ الى ٨ أمتار وأوراقه عريضة كثيفة مضمومة ترمي ظلاً جيداً وهو يوجد غالباً منفرداً في الحقول والحدائق وحول المنازل والدور وله ثمر أحمر ضارب الى السواد طعمه حامض لذيذ جداً ويصنع منه شراب مرطب كثيراً أما خشب هذا الشجر فيستعمل في النجارة وصنع العربات

والثاني أبيض وربما كان اكثر الأشجار انتشاراً في لبنان وهو في الغالب أصغر من التوت الأسود وثمره ضارب الى البياض له طعم سكري واوراقه طرية كثيرة يقوت بها دود القز في شهر ابريل ثم تعود تنبت في اكتوبر وحينئذٍ تعطى خضراء للمواشي علفاً أو تنشف في حرارة الشمس وتحفظ علفاً لها في الشتاء . وخشب هـذا التوت يفضل على خشب التوت الأسود في أشغال النجارة

أما شجر الزيتون فينمو نمواً عظيماً . نعم ان نموه بطيء ولكنه يعيش مئات عديدة من السنين وهو يتأثر من البرد فلا ينمو في المواضع المرتفعة وخشبه يستعمل في المصنوعات الفـاخرة . والزيتون اللبناني لذيذ الطعم واللبنانيون يستهلكون منه كمية عظيمة و يستخرجون منه زيتاً جيداً للأكل . ولقد يكون اكثر صفاء ويستخرج منه كمية أعظم لو كان اللبنانيون يستعملون في عصره وتكريره آلات اكمل من الآلات الأولية التي يستعملونها وكان يستعملها قبلهم أجدادهم . وغابات الزيتون كثيرة في لبنان منها ما هو أشبه بالاحراج وأشهرها غابة الشويفات قريباً من بيروت جنوباً و يبلغ طولهـا ٧ كيلومترات وعرضها كيلومتراً الى ثلاثة كيلومترات ثم غابة المختارة على ضفة نهر الباروك اليسرى الى الجنوب الشرقي من دير القمر وليست هذه الغابة أقل من الأولى اتساعاً وضخامة ولكن يتخللها أشجار توت وفواكه ثم غابة الكورة بالقرب من طرابلس و يبلغ طولها ٥ كيلومترات وعرضها كيلومتراً واحداً

أما الكرمة فلا تغرس حسب الطرق العلمية بل يتبعون في غرسها الطرق التي كانت متبعة في العصور القديمة جداً . يغرسون الدالية في الغالب في جوانب

الروابي المعرضة كثيراً لحرارة الشمس بعد أن يحولوها مسطحات ويتركون الفروع تمتد على الأرض كيف شاءت ولا توضع الكرمة على سدة أو تجعل لها تعريشة إلاَّ في الجنائن وحول المنازل . ويوجد عدة أصناف من هذه الكرمة التي تثمر عنباً لذيذاً يؤكل أو يحول زبيباً أو يستخرج منه النبيذ والخل والعرقي والدبس . وأشهر النبيذ هو نبيذ سبعل وشتورة وزحلة وبكفيا . ونبيذ لبنان الذهبي اللون ذائع الصيت وأشهر أصناف العرقي هي التي تستخرج في الزوق وزحلة . ويبدأ العنب ينضج في السهول منذ أواخر شهر يوليو أما في الجبال المرتفعة حيث ينمو الكرم في مواضع يبلغ علوها ١٥٠٠ متر فيتأخر نضج العنب ولا ينتهي إلاَّ في شهر اكتوبر

والتبغ اللبناني ولاسيما دخان بلاد جبيل كان مرغوباً فيه كثيراً منذ ثلاثين عاماً وكان الناس يستهلكون منهُ كمية عظيمة فى سوريا ويصدرون منه كثيراً الى القطر المصري ولكن منذ أولع الناس بالسجاير المصرية وسجاير شركة الريجي العثماني انحطت زراعة الدخان في لبنان على أنها قد عادت فأخذت تنتعش نوعاً في السنوات الأخيرة

ولقد كانت جبال لبنان في قديم الزمان مغطاة بغابات كثيفة تهيم فيها الأسود والنمورة وحيوانات أُخرى مفترسة وكان الناس يصطادون منها بقر الوحش وربما الفيلة أيضاً . وكان الأرز كثيراً في تلك الجبال . وكان فيها عدا الأرز أشجار السنديان والعفص والصنوبر والشوح والسرو الخ . ومن تلك الغابات كان الأشوريون والبابليون والمصريون والاسرائيليون يقطعون الأخشاب التي يحتاجون اليها في تشييد قصورهم ومعابدهم . وكان أهالي البلاد القليلو العدد يعيشون من ايراد قطع الأشجار ولما تزايد عدد الأهالي أخذوا

يعدون أرض الغابات لزراعة القمح وغرس أشجار الزيتون والعنب ولقد قطع عدد لايحصى من الأشجار لتشييد المراكب الحربية والسفن التجارية وصهر معادن الحديد وصنع الكلس. وقد أدخلت أشجار التوت بعد ذلك الى جبل لبنان وحلت محل أشجار الغابات لأن ايراد التوت اكثر من ايراد الغابات. وقد زاد في تجريد لبنان من غاباته رعي الماعز التي تقضم صغار النبت وعدم اهتمام الأهالي بغرس بدل الأشجار التي اقتلعت أو قطعت وهكذا لاترى اليوم في لبنان الذي كان من قبل مرتدياً ثوباً أخضر إلاّ قمم جبال وسفوحاً عارية

ومن البديهي أن وجود الغابات الشاسعة كان يفيد البلاد من حيث برود ونقاوة الهواء وكميـة مياه الأمطار وانتظام هبوطها وتوزيعها على الجهات وقد كان ماء الينابيع أغزر على مدى السنة وكانت مياه الأنهر أوفر في فصل الصيف فتجريد البلاد من الغابات مجلبة أضرار جسيمة ومن أشد تلك الأضرار إضعاف قوى الأرض لأن مياه الأمطار لم تعد تحبسها أوراق الأشجار وأغصانها وجذوعها فصارت تهبط على طول السفوح وتجرف طبقة التراب الزراعية الى بطون الأودية وتندفق في الجداول والأنهر فتصير هـذه سيولاً مخربة بينما قاع مجاري المياه يبقى تقريباً ناشفاً في فصل الصيف

بيد ان الغابات لم تندثر تماماً من قنن لبنان وسفوحه بل لايزال يوجد فيه – عدا غابة أرز لبنان الشهيرة التي ينبع على اقدامها نهر قاديشا في جبل المكمل – ثلاث غابات من الأرز دون تلك شهرةً ولكنها أوسع منها. الأولى على بعد عشرة كيلومترات غربي الأرز الشهير ويبلغ طولها ٦ كيلومترات تقريباً والثانية الى الشمال على مقربة من منبع النهر البارد على السفح الغربي للجبل المذكور والثالثة تغطي جبل الباروك على طول أربعة كيلومترات.

ويوجد أيضاً غابات سنديان وشوح على السفوح الشرقية لجبل عكار وجبل المكمل الى شواطئ نهر العاصي وغابات صنوبر صغيرة في أواسط لبنان وضواحي بيروت وعلى شاطئ نهر الصفا ونهر الباروك . وفي وديان الجبل الشرقي كثير من أشجار الحور والدلب . وجبل الشيخ مغطى بالغابات ولا سيما سفوحه السفلى

فعلى ذوي السلطة أن يهتموا بإحياء الزراعة حتى يصير لبنان مع سهول البقاع وبعلبك الخصبة وسهول السواحل التي خصته بها الطبيعة قادراً أن ينبت الغلال وسائر المواد الغذائية كميات وافرة تكفي ليس فقط لاطعام الأهالي بل لأجل التصدير أيضاً فيجب انشاء مدرسة للزراعة واعداد عدة حقول تجارب في جميع أنحاء لبنان تعلم فيها عملياً طرائق الزراعة المحسنة واستعمال آلات الزراعة الحديثة وتربية دود القز والنحل والمواشي حسب الطرق العلمية وتربية الطيور الداجنة وصنع الزبدة والجبنة حسب الطرق الحديثة . ويمكن ادخال زراعات جديدة مثل زراعة الشمندر (البنجر) السكري والحبوب الزيتية والنباتات النسيجية . ثم يجب أن توسع زراعة قصب السكر في الأماكن التي فيها مياه غزيرة وأن يكثر من غرس أشجار الفواكه من أجود الأصناف التي يمكن تصديرها الى الخارج بسهولة ويجنى منها ربح وافر وأن يعم استعمال السباخ الكيماوي وأن تحسن طرق استخراج الزيت من الزيتون وصنع النبيذ . ولا ريب ان استعمال معاصر محسنة بدل المعاصر التي تستعمل الآن يؤدي الى زيادة الكمية التي تستخرج زيادة كبرى

ويجب انشاء بنوك زراعية تقرض الزارعين الأموال التي يحتاجون اليها لاصلاح الأطيان وشراء البذور والمواشي وآلات الزراعة وتأسيس نقابات

زراعية تساعدهم كثيراً ليشتروا بأثمان معتدلة ما يحتاجون اليه من بذور منتقاة وسماد جيد وآلات من أحسن طراز وليبيعوا بأثمان مرتفعة حاصلات الأرض واللبن والزبدة والجبنة والبيض والطيور . وتلك النقابات توفر لهم الوسائل لفحص فراش دود القز بواسطة الميكروسكوب لاختيار أحسن البذور وتحليل تربة أطيانهم والمواد المخصبة وتسهّل لهم السبل ليستأجروا بأثمان معتدلة الآلات الزراعية السريعة العمل مثل المحاريث التي تدار بواسطة البخار أو الكهرباء وآلات الحصاد والنوارج الميكانيكية ويستعملوها في كل أرض تصلح لها ولا سيما في السهول

٭٭٭

سوق الصناعة ليست رائجة كثيراً في لبنان والسواد الأكبر من أهالي القرى منصرف الى تربية دود القز ليس في محلات مناسبة مثل التي في أوروبا بل في المنازل أو في «أخصاص» من حطب وقش وتحل الشرانق في المعامل القائمة فوق تل أو في سهل أو على باب مدينة ويشتغل في تلك المعامل عدد كبير من العمال من الأناث والذكور واكثر خيوط الحرير يصدر الى فرنسا والباقي ينسج في لبنان . ويوجد في لبنان أنوال يدوية لصنع الأقمشة الحريرية المرقة أو من لون واحد ولصنع الديما. وبلدة الذوق مشهورة بمصنوعاتها النسيجية وكفافيها الحريرية المزركشة بخيوط الذهب والفضة. وعلى مقربة من طرابلس تصنع البلس وفي بيروت تصنع المصوغات ورقاع الألعاب والأثاث من خشب منقوش أو مرصع بالصدف . وفي بيروت وصيدا يصنعون أواني الفخار مثل الأباريق والخوابي والدوارق . وفي بيت شباب أسرة اشتهرت بصناعة صب الأجراس وهي تحفظ تلك الصناعة سراً مكتوماً . وفي بيروت وطرابلس

مصابن وفي بيروت وجونيه مطاحن تدار بالبخار. والأسفنج يلتقط على الشواطئ بين طرابلس وجبيل. ويبنون مراكب للصيد أو للاتجار على الشواطئ في المدن والقرى الواقعة على ساحل البحر. ولا يوجد في لبنان صناعات كبيرة أما الصناعة الصغرى فيشتغل فيها النجار والحداد والسمكري والصباغ والدباغ والبناء الخ. الخ... وفي أعالي الجبال يصنعون جبنة بيضاء لذيذة جداً ويصنعون « القريشة » و« اللبنة »

فلأجل انعاش الصناعة وانمائها يجب انشاء مدارس للصناعات والفنون في جميع جهات الجبل وتنشيط وتشجيع الناس لصنع المنسوجات الوطنية من الحرير والقطن والصوف والأقمشة المزركشة بالذهب والفضة والمفروشات ومشغولات الابرة والسنارة والأثاث وأواني الفخار على الطراز الشرقي. وبمساعدة البنوك تنشأ شركات تصنع الأجواخ والقطيفة والأقمشة الحريرية والقطنية وتصنع الورق والقرميد والآجر ولوازم الأثاث والأواني الزجاجية والبلورية والخزفية وأواني الفخار المطلي والسكاكين والمدى والمعجونات الطعامية والسكر والعقاقير الخ. الخ. وتشيد معامل تقطير للروائح العطرية فتستخدم فيها أصناف الزهور والورد الكثيرة في لبنان ونجني منها ربح وافر

وأصناف الوقود المعدني قليلة في لبنان فالفحم الحجري ليس له أثر ويوجد في قضاء المتن في أواسط لبنان معادن فحم نباتي (لينييت) يستخرجه أرباب معامل الغزل المجاورة بطريقة بسيطة ويحرقونه في معاملهم ويستخرجون أيضاً في جهات جزين في جنوب لبنان كميات قليلة من نوع جيد من هذا الفحم وفي بعض الأماكن يظهر هذا الفحم على وجه الأرض. ولو وصلت هذه المناجم بالشواطئ بسكك حديدية أو بواسطة خطوط نقالات جوية

واتبعت في استخراج المعادن منها طرق علمية واستعملت آلات وأدوات حديثة لربما كان منها ربح أما الآن فان هذه المعادن تنقل غالباً على ظهور البغال وهذا مما يزيد في ثمن الوقود المعدني اللبناني ويجعله لا يقدر أن يزاحم الفحم الحجري الذي يأتي من الخارج حتى لو تساويا في جودة الصنف . وقد وجدت آثار حُمر في بعض المواضع

ويوجد في لبنان مناجم حديد عديدة ولا سيما في أواسطه وجنوبه وقد كان اللبنانيون فيما مضى يستخرجون هذا المعدن ويحرقون أشجار الغابات لصهره . وكان ذلك من أسباب تجريد لبنان من غاباته . وكان الحديد الذي يستخرجونه من صنف جيد . أما الآن فقد ترك اللبنانيون استخراج الحديد من تلك المناجم لعدم وجود الوقود . وسائر المعادن نادرة الوجود في لبنان

أما حجر البناء فوفير جداً في لبنان وهو في الجبال كلسي صلب مكاسره زجاجية لونه أبيض باهت واذا مكث كثيراً معرضاً للشمس مال الى لون الذهب أما على السواحل والهضاب المجاورة فأكثر الحجر رملي ضارب الى الصفار مناسب كثيراً للبناء قابل التفتت وقت استخراجه ولكنه كلما مكث معرضاً للهواء صلب . ويوجد أصناف عديدة من الأحجار التي تناسب لصنع الأعمدة وأحجار الطحن والبلاط والأعتاب السفلى وبراويز الأبواب والأعتاب العليا والسلالم وخلافها . وفي شمال لبنان مقالع رخام اذا صقل أصبح جميلاً . وقد بدأوا يصدرون أحجار البناء الى مصر حيث يندر وجودها

وأعمال النقل العمومي مقصورة على سكة الحديد ذات الخط المفرد الضيق بين بيروت ودمشق الشام . وهذا الخط يشق لبنان من أوله الى آخره عرضاً ويبلغ عند مضيق ظهر البيدر أعلى نقطة فيه وارتفاعها ١٥٤٢ متراً

ثم يجتاز سهل البقاع والجبل الشرقي ومتى سارت القطرات على سفحي جبل لبنان يستعمل لها على مسافة ٣٢ كيلومتراً اسنان تساعدها على تسلق الجبل فلا تستطيع في هذه الحال أن تقطع اكثر من ٨ كيلومترات في الساعة وفي غير ذينك المكانين قد تبلغ سرعة القطار ٤٠ كيلومتراً في الساعة ولكن المسافة بين بيروت ودمشق وطولها ١٤٧ كيلومتراً تقتضي ٩ ساعات لقطعها وذلك يوازي سرعة معدلها ١٦ كيلومتراً ونصف كيلومتر في الساعة. ولا يمكن أن يسير في اليوم من كل جهة على هذا الخط المفرد الأَستة أو سبعة قطرات كل واحد مؤلف من أربع أو خمس عربات وهذه الحركة قليلة جداً وأجرة الركاب والبضائع مرتفعة جداً ولذا لا تزال تسير قوافل من الجمال والبغال المحملة الواحدة تلو الأخرى في طريق العربات بين دمشق و بيروت فتجتاز الطريق أربع أو خمس مراحل . وأحد عيوب هذا الخط - وهو عيب كبير - هو أنهُ أطيل اطالة كبرى لأسباب لا تتعلق بالهندسة ولا باحتياجات التجارة وتظهر جسامة هذا العيب جلياً من مقابلة طول الخط الحديدي بطول طريق العربات بين بيروت ودمشق الذي لا يزيد على ١١٢ كيلومتراً

فيجب أن يُنشأ بعد وقت قصر أو طال خط حديدي جديد واسع يحفر له نفق طويل تحت جبل لبنان بين وادي نهر بيروت وسهل البقاع . وهذا الأمر مستطاع بعد أن أظهر العلم الذي حل مسئلة حفر نفق سان غوتار بسويسرا أن الصعوبات الفنية يمكن تذليلها ولكنهُ يقتضي نفقة باهظة . وقد يكون الخط الجديد أقصر من الخط الحالى . وينشأ فرع يمر بزحلة ويتصل بالخط الذي يذهب اليوم من الرياق ويمر ببعلبك وحمص وحماة وينتهي الى حلب بعد أن يجتاز مسافة ٣٣٢ كيلومتراً

والحاجة تقضي أيضاً بانشاء خط ساحلي واسع يصل طرابلس في الشمال بعكاء وحيفا جنوباً ماراً بالبترون وجبيل وجونيـة وبيروت وصيدا وصور ويتصل هذا الخط من جهـة بخط طرابلس وحمص الذي بني حديثاً وطوله مائة كيلومتر ومن جهة أُخرى بخط حيفا ودمشق . ويوجد الآن خط ترامواي بخاري على الشواطئ بين بيروت ومصب نهر المعاملتين في منتصف خليج جونية على مسافة ١٩ كيلومتراً وهذا الفرع يضم الى الخط الجديد . ويمكن انشاء فرع للخط الساحلي يبـدأ جنوبي صيدا وينتهي الى خط بيروت ودمشق ماراً بحاصبيا وراشيا

وشبكة طرق العربات في جبل لبنان تتألف من الطريق الممتدة بين بيروت ودمشق الشام التي كان يسير عليها قبل انشاء الخط الحديدي الحالي بين المدينتين المذكورتين عربات للركاب والبضائع في أوقات محددة . ومن الطريق الساحليـة بين صيدا وطرابلس المارة ببيروت . ومن الطريق بين طرابلس وحمص ومن عدة طرق أُخرى تتشعب من الطريقين الأولين وأهم تلك الطرق الفرعية الطريق بين صيدا ودير القمر المارة بجزين والمختارة والطريق بين بيروت ودير القمر المارة بمعلقة الدامور والطريق الدائرة الذاهبة من بيروت الى الحدث فالشويفات فدير القمر فالباروك فعين زحلته فحمانا فبعبدات فبيت مرى فبيروت والطريق بين الحازمية وبعبدا وجمهور والطريق بين بيروت وزحلة المارة بانطلياس وبكفيا والطريق بين جونيـة وغوسطا وريفون وروميه والطريق بين شكة واميون وحصرون التي تتصل بالطريق التي بين بشرّي وطرابلس المارة باهدن وزغرتا

ويبلغ عرض هذه الطرق بوجـه عام ستة أمتار واذا استثنينا الطريق

الممتدة من بيروت الى دمشق التي بذلت العناية في انشائها فان تكاليف سائر الطرق قد كانت بكل تقتير ولذا جاء رسمها ناقصاً فانك تراها كثيرة التعاريج وأحياناً تتوالى تلك التعاريج بعضها فوق بعض على منحدر تل . وآونة ترتفع الطريق ارتفاعاً عظيماً ثم تنحدر فجاة انحداراً كبيراً وكل هذا كيلا تمر الطريق في ممر صعب أو كي يتحاشوا انجاز عمل فني يقتضي نفقة . ودائر منعطفات الطرق قليل الاتساع بحيث أن العربة متى كانت نازلة في طريق تحت حرفها واد تضطر كلما بلغت منعطفاً أن تسير الهوينا مخافة أن تنقلب في الوادي. وحيطان الطرق مرتفعة جداً في بعض الأماكن وهي مؤلفة من حجارة ناشفة ولهذا كثيراً ما تتهدم على أثر سقوط مطر غزير . والحافات مؤلفة من حجارة ضخمة موضوعة بدون مؤونة في طرف الطرق ولذا ليست تكفي لدفع الخطر في المواضع التي تكون فيها الطريق على كتف واد

وشبكة الطرق على ما هي عليه الآن لا تفي مطلقاً بمقتضيات المواصلات ويوجد في لبنان قرى عديدة لا تتصل بعضها ببعض وبالسواحل الا بمسالك كثيرة الانحدار ضيقة متعرجة وعرة . وكثيراً ما يكون على جانبيها هوّات عميقة القرار . وليس من حيوانات النقل سوى البغل والحمار يقدران أن يسيرا في تلك المسالك الخطرة وهما محملان وكثيراً ما تجد مكارياً واحداً يسوق عدداً من الحمير والبغال ولكنه عظيم الثقة بأنها تحسن اختيار المواضع التي تدوس فيها الى حد انه يتركها تسير كما تشاء وهي لا تعثر أبداً عثوراً يؤدي الى حادث مكدر . ويرى المسافر فى مسالك أسهل من الأولى قوافل طويلة من الجمال تحمل قمح حوران الى احدى القرى السحيقة في الجبال . ويستخدم أيضاً البغل والحمار للركوب في الطرق الوعرة ويفضلان على الحصان ولكن

الراكب كثيراً ما يضطر الى السير على الاقدام لتتمكن المطية من اجتياز منحدر وعر

ولا حاجة بنا الى الاسهاب في الكلام على أن تقدم البلاد وعمارها يقتضيان وصل أقل القرى والدساكر بعضها ببعض وبالمدن الداخلية والمدن البحرية بطرق مواصلات سهلة لكي يقدر الأهالي أن يبيعوا ما تنتجه لهم الأرض وبطن الأرض وصناعتهم وأن يستحضروا ما يحتاجون اليه وأن يجعلوا بينهم وبين المراكز المجاورة علاقات مستمرة وأن يفاوضوا ذوي الحل والعقد سريعاً وأن يستفيدوا من سرعة الالتجاء الى القضاء ولكي يستطيع الأجانب وسكان السهول أن يؤموا قمم الجبال ذات المناظر الخلابة ومحلات الاصطياف المرطبة الصحية

⁂

أما من حيث التجارة فان بيروت تكاد تحتكر جميع تجارة لبنان وشطر من سوريا مع البلاد التي ما وراء البحار فان السفن العديدة تأتي ثغر بيروت وتنزل فيها جميع أنواع البضائع والسلع فترسل الى دمشق والمدن والقرى الواقعة على السواحل وفي داخل البلاد. ثم تقفل تلك السفن مشحونة من نتاج البلاد مما تخرجه الأرض ودور الصناعات . أما حركة مينائي طرابلس وصيدا فهي أقل أهميـة . ولا تنتاب المراكب البخارية سائر مدن لبنان البحرية التي ليس فيها سوى فرض مفتوحة لا تقي شر الأهواء والعواصف ولا يزورها سوى مراكب شراعية تسير بقرب الشواطئ من الاسكندرية الى جزر الأرخبيل . وبين لبنان والبلاد المجاورة مثل فلسطين وسوريا الوسطى وبلاد حمص وحماة معاملات تجارية ذات أهمية

أهم ما يستورده لبنان المنسوجات القطنية والصوفية والحريرية والأجواخ والقطيفة والأثاث والبيانو وسائر آلات الموسيقى والمرايا والأواني الزجاجية والبلورية والخزفية والساعات والجواهر والأواني النحاسية والحديدية واللعب والورق والروائح العطرية والعقاقير والمعجونات الطعاميـة والسكر والبن والشوكولاتة والبهارات والنبيذ الفاخر والجعة والمشروبات ودخان الريجي العثماني والتنباك العجمي والفحم الحجري وزيت البترول والشمع والماكينات والأدوات والحديد والمعادن والقرميد . الخ . الخ

وأهم ما يصدره لبنان الحرير الخام وزيت الزيتون والدخان الوطني والنبيذ والعرقي والبرتقال والليمون والعنب والزبيب والصوف والاسفنج والجلود والصابون . الخ . الخ

ان صادرات لبنان وواردات لا تتعادل بل ان البضائع الواردة اليه من الخارج تفوق قيمتها قيمة الصادر منه كثيراً غير ان الأموال التى كان ينفقها في لبنان السياح والمصطافون الذين كانوا يؤمونه في فصل الصيف وبنوع أخص الأموال الطائلة التي كان يبعث بها اللبنانيون المهاجرون الى أهلهم المتخلفين في الوطن كانت تجعل كفة الايراد تعادل كفة النفقة في ميزان حياة لبنان الاقتصادية

وفي لبنان يتعاملون بعملة الدولة العثمانية ولهذه العملة أسعار رسميـة وأسعار غير رسمية في المعاملات والتجارة وتختلف قيمتها قليلاً حسب تقلبات أسعار الكمبيو ويتعاملون أيضاً بالليرة الانجليزية والليرة الفرنسوية . وخلاصة القول ان نظام العملة معقد كذنب الضب حتى أنك لو أردت أن تعمل حساباً تدخل فيه عدة أصناف من النقود لصعب عليك ذلك ولو كنت من

أهل البلاد أنفسهم ، والغريب يضيع في حساب تلك العملة ولا يجد من طريق سوى أن يعتمد على ذمة من يعامله

ووحدة الوزن هي الرطل الذي يساوي كيلوغرامين و ٥٦٤ غراماً أو أقتين أو ١٢ أوقية أو ٨٠٠ درهم فعلى هذا المعدل يساوي الدرهم ٣,٢٠ فى الغرامات والقنطار يساوي ١٠٠ رطل . ويستعمل الصياغ المثقال الذي يساوي درهماً ونصف درهم

ومقاييس الطول هي الذراع التجارية التي تساوي من الامتار ٠,٦٨٧ للأقمشة الحريرية و ٠,٦٥ للأقمشة القطنيـة وذراع المساحة التي تساوي بحساب المتر ٠,٧٦ ولحساب المسافات يستعملون الفرسخ أو مسير ساعة ويقيس المهندسون الطرق بالكيلومتر . والمقياس الزراعي هو الفدان وهو عبارة عن المساحة التي يقدر أن يحرثها زوج من الثيران في يوم واحد

ومقياس السعة هو المدّ الذي يساوي ١٨ لتراً ويقسم الى أرباع وأثمان . و ٦ أمداد تساوي كيلاً و ٧٢ مداً تساوي غرارة

والحاجة تقضي أن يلغى نظام العملة والموازين والمقاييس الحالي لما فيه من التعقيد والارتباك وان يقام على انقاضه نظام الحساب العشري الذي يسهل استعماله في لبنان لأن اللبنانيين ألفوا الفرنك والمتر والكيلوغرام

الفصل الرابع

لمحة تاريخية

في العصور السابقة للتاريخ قبل مجيء المسيح بضعة ألوف من السنين نزل الفينيقيون على الشاطئ الشرقي للبحر الأبيض المتوسط من جزيرة ارواد (ارادعند الأقدمين) شمالاً الى نهر النعماني (بيلوس) الذي يندفق في البحر على بعد كيلومتر ونصف كيلومتر جنوبي عكاء (بتوليمايس عند اليونانيين) وتوغلوا أيضاً في الجبال المجاورة . على أن أمماً أخرى غزت تلك البلاد فيما بعد واستوطنتها ولجأ كثيرون بل عشائر بأ كملها الى وديان لبنان وهضابه وقننه العالية الوعرة لينجوا من ضرب السيف والعبودية والاضطهادات وامتزجت تلك العناصر بسكان لبنان الأصليين ومن هذا المزيج الذي يغلب فيه الدم الفينيقي خرج سكان جبل لبنان والساحل الذي يجاوره الحاليون

فتاريخ لبنان القديم هو تاريخ الشعب الفينيقي الذي أنشأ مدن صيدا وجبيل وصور وبيروت ونشر حروف الهجاء ان لم نقل انه هو الذي اخترعها وملأ بمتاجره غرب آسيا وجميع شواطئ البحر الأبيض وأسس مستعمرات عديدة قوية أشهرها قرطاجة . وكان الفينيقيون ذوي اقدام في ركوب البحر كما كانوا بارعين في التجارة فلم يخافوا أن يتخطوا أعمدة هرقل (جبل طارق) ويندفعوا فوق بحر الظلمات أي الأوقيانوس فنزلوا على الشواطئ الغربية لشبه جزيرة ايباريا (اسبانيا والبرتغال) وزاروا الجزر البريطانية وأحكموا صلاتهم التجارية مع الهند بطريق البحر الأحمر وطافوا حول افريقيا . وكانوا حاذقين في الصناعة

فاستخرجوا الأرجوان من عصير المحار وأجادوا وبرعوا في نسج وصبغ الأقمشة الصوفية والقطنيــة وعرفوا أن يستخرجوا ويشغلوا المعادن وصنعوا الزجاج والجواهر والحلي والزين وكانوا يأخذون من غابات لبنان الكثيفة الأشجار التي كانوا يحتاجون اليها في بناء سفنهم التي كانت لاتحصى عداً

وكانت مدن الفينيقيين إما جمهوريات واما ممالك مستقلة الواحدة عن الأخرى ولكل واحدة منها مجلس شيوخ . على أن جميع تلك المدن كانت تؤلف بينها هيئة متحدة تتعاون بها على الدفاع عن حريتها ومصالحها المشتركة. وقد ظلت مدينة صيدا وهي من أقدم مدن الفينيقيين بل من أقدم مدن العالم على رأس ذلك الاتحاد دهراً طويلاً ثم ان مدينة صور التي يقال ان صيدا هي التي أنشأتهــا نزعت منها السيادة واحتفظت بها الى يوم فقدت استقلالها . وكان مجلس الشيوخ العام للفينيقيين يعقد جلساته في مدينة طرابلس

وقد خضعت فينيقيا عصوراً طويلة لحكم أو لسيادة المصريين والأشوريين والكلدانيين والفرس ولما تغلب الاسكندر ذو القرنين على دارا ملك الفرس واستولى على ملكه حاصر صور التي أبت أن تفتح له أبوابها واستولى عليهــا بعد ان قاومته مقاومة عنيفة مدة سبعة أشهر . ثم خضعت مدن فينيقيا تارة للسلوقيين وطوراً للاجيين وهما سلالتا قائدين من قواد الاسكندر نشأت الأولى منهما في سوريا والثانية في مصر. ثم ضُمت تلك المدن الى المملكة الرومانية ولما قسمت تلك المملكة سنة ٣٩٥ كانت فينيقيا وسوريا وسائر الشرق من نصيب بيزنطية التي سميت القسطنطينية

وفي النصف الأول من الجيل السابع بين سنة ٦٣٤ وسنة ٦٣٦ غزا العرب سوريا وأخضعوا سواحل فينيقيا لحكمهم إلاّ أن سكان جبل لبنان

الذين كانوا منذ زمن طويل قبل ذلك العهد اعتصموا في جبالهم وألفوا جماعات مستقلة لم يخضعوا للعرب بل طالما غزوا البلاد التي كان العرب يحتلونها ولم يعترفوا بسلطة الخلفاء إلاّ في أواخر الجيل السابع غير انهم ظلوا محافظين على استقلالهم الذاتي القديم وظلوا يحكمهم امراؤهم حسب شرائعهم وعاداتهم وتقاليدهم. وصارت دمشق الشام عاصمة الخلفاء الأمويين الذين كان أولهم معاوية ودامت خلافتهم ٨٩ سنة ثم انتزعها منهم بنو العباس وجعلوا بغداد عاصمةً لهم. وقد ارتقت الدولة العربية في عهد هارون الرشيد والمأمون الى أعلى مدارج الحضارة وبلغت أوج المجد والعز وأزهرت فيها العلوم والآداب والفنون

على أن عز دولة العرب هذا لم يطل لأن الذين جاءوا بعد المأمون من الخلفاء كانوا أعجز من أن يصونوا الاتفاق والوئام بين العناصر العديدة المختلفة التي كانت تحت حكمهم فتوالت الثورات في قصور الخلفاء وتتابعت الحروب الأهلية وسادت الفوضى في كل مكان فتزعزعت أركان المملكة وانشطرت بعضها عن بعض وكان الخلفاء اتخذوا لهم حرساً من المماليك التركمان فكثر عدد هؤلاء وقوي نفوذهم حتى أنهم احتكروا جميع وظائف الجيش وتفردوا بحكم الأقاليم وأنشأ كثيرون منهم سلالات لم تكن تعترف بسلطة الخلفاء إلاّ بالاسم. فغنم الخلفاء الفاطميون أصحاب مصر هذه الفرصة واستولوا على الأقطار السورية في أواخر الجيل العاشر

وفيما بين سنة ١٠٧٥ و ١٠٨٥ استولى الأتراك السلجوقيون على سوريا وساد فيها الهدوء والأمان وخيم الرخاء عليها فترة من الزمان في عهد السلطان ملك شاه ولم تمر بضع سنوات بعد وفاته حتى حدثت تلك الحركة الدينية

العظيمة التي هزت أوربا من أقصاها الى أقصاها وساقت الى الشرق تلك الحملات العسكرية المعروفة بحروب الصليبيين

وبعد ان أخذ الصليبيون الأولون انطاكية حاصروا أورشليم واستولوا عليها سنة ١٠٩٩ ثم جعلت هذه المدينـة مملكة وقسم الشطر الذي أخذه الصليبيون من سوريا بين امارة انطاكية وكونتية الرها وكونتية طرابلس التي كانت تعترف بسيادة ملك أورشليم ثم وزعت البلاد اقطاعات بين قواد الجيوش وتأسست مستعمرات أوروبية في مدن السواحل . غير أن الصليبيين لم يتمتعوا بالراحة والأمان بعد غزواتهم بل ظلت الحرب سجالاً بينهم وبين سلاطين مصر وأمراء المسلمين في سوريا ولم تخمد جذوتها الا فترات قصيرة كانوا يتهادنون فيها

وقد تبعت هذه الحرب الصليبية الأولى حروب أخرى عديدة مثلها في خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر ولكن البلاد التي استولى عليها الصليبيون ما عتمت ان عادت الى أيدي المسلمين . فقد دخل صلاح الدين سلطان مصر وسوريا العظيم مدينـة أورشليم سنة ١١٨٧ ثم سقطت سائر المدن بين يديه الواحدة بعد الأخرى ولم يبقَ بين أيدي المسيحيين سوى بعض المواقع الحصينة

وفي سنة ١٢٢٠ انقضت قبائل المغول التي لا يحصى عديدها تحت قيادة زعيمهم جانكيز خان على غرب آسيا ففر الخوارزميون الذين كانوا يقطنون تركستان من وجههم ولجأوا الى سوريا وفلسطين وعملوا فيها السيف والنار وسقطت مدينة عكاء التي كانت آخر معقل للأفرنج في الأراضي المقدسة سنة ١٢٩١ بين يدي سلطان مصر الملك الأشرف خليل ابن قلاوون من

سلالة المماليك البحريين ثم تبعتها سائر المدن إذ فتحت له أبوابها وظلت سوريا من ذلك الحين تحت حكم سلاطين مصر اكثر من قرنين . وفي صدر القرن الخامس عشر غزاها تيمورلنك المغولي وذبح أهالي دمشق الشام وكثير من المدن الأخرى وخرب البلاد وفي سنة ١٥١٦ استولى على سوريا السلطان سليم الأول من بني عثمان الأتراك وضمها الى دولته وكان لبنان يومئذٍ امارات صغيرة مستقلة الواحدة عن الأخرى فأبقاها السلطان سليم الأول على استقلالها الذاتي وأبقى لها الامتيازات التي كانت تتمتع بها منذ دهر طويل ومقابل ذلك اعترفت تلك الامارات بسيادته ورضيت بأن تدفع له جزية خفيفة

وأشهر الأمراء الذين حكموا لبنان هم المعنيون والشهابيون ويؤكد بعض المؤرخين أن المعنيين كانوا دروزاً ولكن الرأي الأرجح هو أنهم كانوا مسلمين وقد جاء أول أولئك الأمراء الى لبنان سنة ١١١٨ وأقام في قضاء الشوف وعهد اليهِ في حمايته من غزوة الصليبيين وخلفه في حكم الشوف أفراد سلالته وفي السنين الأولى من القرن السابع عشر أتم الأمير فخر الدين الثاني من بني معن الوحدة اللبنانية إذ ضم تحت لواء سلطته الامارات اللبنانية وحارب ولاة الايالات العثمانية المجاورة وفاز عليهم غير أنهُ اضطر سنة ١٦١٢ أن يلجأ الى بلاط غراندوق توسكانا بايطاليا وقد أحسن ذلك الغراندوق ضيافته واكرمهُ أيما اكرام وقد ظل غائباً عن لبنان خمسة أعوام ثم عاد اليهِ فعادت الحروب بينه وبين رجال الدولة العثمانية وقد انضم اليهم بعض الأمراء الذين كانوا يحسدونه على سطوته ونفوذه الواسع فغلب خصومه مراراً ولكن الاقدار لم تظل موالية له فقد حاصره جيش عظيم في حصن نيحا الطبيعي ووقع في نهاية الأمر بين أيدي الأتراك فقتلوه سنة ١٦٣٥ وقد ناهزت مدة حكمه خمسين عاماً

والامير فخر الدين المعني الثاني هذا يعد من أعظم رجال عصره في الشرق فقد كان ذا ذكاء نادر شجاعاً بارعاً في قيادة الجيوش كريماً رفيع النفس وقد نشط التجارة وأعلى منار الصناعة والزراعة وانجز كثيراً من أعمال التحسين والتنظيم في مدن عديدة . وقد اتسع نطاق حكمه من نابلس (سيشام عند الأقدمين) جنوباً الى قرب انطاكية شمالاً وأبواب دمشق الشام شرقاً.

وكان آخر امير معني حكم لبنان الامير احمد الذي توفي سنة ١٦٩٧ دون عقب ذكر فاختار عظماء البلاد خلفاً له ابن اخته الامير بشير شهاب امير راشيا

وبنو شهاب أصلهم من الحجاز في بلاد العرب من قبيلة قريش . فلما غزا العرب سوريا عين مالك رأس تلك الأسرة اميراً على حوران وفي أواخر القرن الثاني عشر انتقل أحد ابناء سلالته منقذ هو وكل أهله واتباعه الى وادي التيم (بلاد حاصبيا وراشيا) على سفح جبل الشيخ وتولى امارة تلك البلاد بعد ان استخلصها من الصليبيين وقد اتصل الشهابيون بالمعنيين بطريق الزواج وتحالفوا وأعانوهم باخلاص في جميع حروبهم وقد تعاقب الشهابيون على حكم لبنان بعد انقراض المعنيين وتاريخ لبنان طافح بأخبار حروبهم بين بعضهم طمعاً بالحكم ووقائعهم مع العثمانيين ومحاربتهم لمرؤوسيهم أرباب المقاطعات الذين كانوا يثورون عليهم

وفي سنة ١٧٨٨ تولى حكم لبنان الامير بشير شهاب الثاني فصرف الخمسين سنة ونيفاً التي حكم فيها لبنان في قمع الفتن التي كان يثيرها أفراد أسرته طمعاً في نزع الحكم منه أو يضرم نارها الأهالي يوم كان يضرب عليهم ضرائب فادحة وفي محاربة رجال الدولة العثمانية ولم يستتب الأمن والراحة في

لبنان في طول ذلك العهد الأ سنين قليلة

وفي سنة ١٧٩٩ حاصر نابليون بونابرت مدينة عكاء التي كان يحميها أسطول انجليزى واحمد باشا حاكم الايالة ذلك السفاح الذي سمي الجزار لشدة قسوته وغلاظته ولكن لم يقدر بونابرت أن يستولى على عكاء وقد قدم الامير بشير المذكور لجيش بونابرت ما كان يحتاج اليه من المؤونة في مدة الحصار . وفي سنة ١٨٢٢ عزل هذا الامير فلجأ الى عزيز مصر محمد علي الذي اكرم وفادته ولكنه لم يلبث طويلاً حتى عاد الى حكم لبنان وبعد تسع سنوات غزا ابراهيم باشا نجل محمد علي سوريا فعقد معه الامير بشير محالفة وحارب اللبنانيون بجانب الجيش المصري عساكر الدولة العثمانيــة . وفي سنة ١٨٤٠ استدعى محمد علي جيوشه من سوريا اذعاناً لضغط الدول العظمى عليه فعاقبت الدولة العثمانية الامير بشيراً على اتفاقه مع عزيز مصر فعزلته ونفته الى مالطة أولاً ثم الى الاستانة حيث توفي سنة ١٨٥٠

وكان الامير بشير هذا ذا هيبة بعيد الغور في السياسة شديد العزم ولكنه كان مستبداً وقد عامل أفراد أسرته الذين ثاروا عليه بقسوة شديدة

وبعد هذا الامير تولى الحكم في لبنان الامير بشير شهاب الثالث ولكن لم يمكث طويلاً في الامارة لأنه عزل على أثر حدوث قلاقل في الجبل

قبل هذا العهد كانت تعكر صفو راحة لبنان الدسائس والانتفاضات والقتال بين أحزاب سياسية ترمي الى نزع السلطة من يد أمير لوضعها بين يدي أمير آخر من اسرته وكانت الدروز والنصارى تشترك في تلك الأعمال وتنضم الى أي فريق بقطع النظر عن اختلاف الأديان أما الحروب الدينية فلم يكن لها من أثر . ولكن المعاملة القاسية التي عامل بها الأمير بشير شهاب

الثاني الدروز في أواخر عهده عنف الذي لقوه من خلفه هاجهم وولد في صدورهم كرهاً شديداً للنصارى ومما زاد هذا الكره الدسائس التي كانت تدسها السلطات العثمانية التي كانت تحاول أن تبذر الشقاق بين طوائف الجبل لتتسنى لها الفرصة لتتعرض لشؤونه وتهدم استقلاله وامتيازاته . فما لبثت هذه الحالة طويلاً حتى أدت الى سفك الدماء فهاجم الدروز النصارى سنة ١٨٤١ وفتكوا في قراهم قتلاً وحرقاً . فأدى هذا الأمر الى تعديل شكل الحكم في لبنان فقسم بعد موافقة الدول الكبرى الى قائمقاميتين وعين على رأس قائمقامية الشمال قائمقام مسيحي من أمراء أبي اللمع وعلى رأس قائمقامية الجنوب قائمقام درزي من أمراء بني ارسلان

وعاد الدروز الى مثل هذه الأعمال من الذبح والتخريب سنة ١٨٤٥ . وفي سنة ١٨٦٠ نجحت دسائس عمال تركيا في تحريض الأهالي بعضهم على بعض فقامت البلاد بالسلاح واضطرمت نار حرب أهلية عظيمة فسالت الدماء أنهراً وعمّ الخراب في شطر من سوريا فان دروز لبنان وحوران هجموا جماعات جماعات على دير القمر وحاصبيا وراشيا وكثير من القرى فهدموها حرقاً بعد ان ذبحوا السواد الاكبر من ذكورها . وفرّ أهالي زحلة الى الجبال ولكن دورهم أحرقت . وذبح أيضاً رعاع دمشق الشام عدداً كبيراً من نصارى تلك المدينة بمساعدة دروز حوران وعربان الجهات المجاورة . ويقدرون بأربعة عشر ألف نفس عدد النصارى الذين قتلوا في لبنان والجبل الشرقي ودمشق الشام وقد هلك اكثر من خمسة آلاف من الشقاء والبؤس وطرد مائة ألف نفس تقريباً من شيوخ ونساء وأولاد من منازلهم التي أحرقت وظلوا في العراء دون مأوى

وكان الدروز في لبنان والجبل الشرقي حيث حدثت هذه الفظائع منظمين تنظيماً عسكرياً حسب ترتيب حكم الاقطاعات وانضم اليهم عدد عظيم من اخوانهم الحورانيين فكانوا في كل موضع هاجموه اكثر عدداً من النصارى المتفرقين بينهم الذين لم يكونوا على شيء من النظام والوحدة . وكان عمّال تركيا من جهة أخرى يحرضون الدروز ويشجعونهم ويعدونهم بالمساعدة . وقد خف عدد كبير من نصارى شمال لبنان تحت قيادة يوسف بك كرم الى نجدة اخوانهم سكان جنوب لبنان الذين كان الفناء يتهددهم ولكنهم لم يصلوا في الوقت المناسب فلم يحولوا دون حوادث الذبح والدمار المار ذكرها

فقامت أوروبا وقعدت لهذه الحوادث وعهدت الدول العظمى الى فرنسا في اعادة الأمن الى نصابه في سوريا فأرسلت الحكومة الفرنسوية حملة عسكرية اليها واجتمع في الوقت نفسه في بيروت مؤتمر مؤلف من مندوبي النمسا وفرنسا وبريطانيا العظمى وبروسيا وروسيا وتركيا وعهد اليه أن «يبحث عن أسباب وأصل الحوادث التي حدثت في سوريا ويحدد مسئولية زعماء الفتنة ومسئولية الموظفين الاداريين ويطلب معاقبة المذنبين ويقدر قيمة الأضرار التي لحقت بالنصارى ويقرر الوسائل الناجعة لتخفيف ويلات المنكوبين والتعويض عليهم ويمنع وقوع مثل هـذه النكبة في المستقبل ويوطد النظام والأمن في سوريا بتبيان التعديلات الواجب ادخالها على نظام لبنان » فأدت أشغال هذا المؤتمر الى وضع عقد سياسي وقعه وكلاء الدول السالفة الذكر في الاستانة وحكومة تركيا . وقد عدلت بعض مواد هذا العقد سنة ١٨٦٤ وصار دستوراً للحكم في جبل لبنان . وفي سنة ١٨٦٨ انضمت ايطاليا الى سائر الدول العظمى

في ضمان استقلال وامتيازات لبنان القديمة العهد فكان الدستور بمثابة اثبات لذلك الاستقلال وتلك الامتيازات

وبناء على النظام الأساسي السالف الذكر عين داود افندي الأرمني الكاثوليكي متصرفاً لجبل لبنان في شهر يونيو سنة ١٨٦١ لمدة ثلاثة أعوام ورقي الى رتبة مشير التي تخوله لقب الباشاوية وبعد انقضاء الثلاثة أعوام جدد تعيينه لمدة خمس سنين . وفي سنة ١٨٦٦ أثار يوسف بك كرم أهالي شمال لبنان على داود باشا فطلب داود باشا نجدة من العساكر العثمانية حارب بها يوسف بك كرم ولكن يوسف بك انتصر عليها في أول الأمر عدة مرار وانكسر في النهاية . واستقال داود باشا سنة ١٨٦٨ وخلفه فرنكو باشا المعروف بسلامة طويته وقد توفي سنة ١٨٧٢ وعين مكانه في العام التالي رستم باشا وكان شديد العزم نزيهاً ولكنهُ كان مستبداً مستسلماً لاحقاده . وجاء بعده واصه باشا سنة ١٨٨٣ وتوفي سنة ١٨٩١ ويؤخذ عليه ما ارتكبه الرجال الذين قربهم اليه من الاختلاس والرشوة . ثم خلفه نعوم باشا الذي حكم لبنان من سنة ١٨٩٢ الى سنة ١٩٠٢ ثم جاء مظفر باشا الذي مات سنة ١٩٠٧ ثم يوسف باشا فرنكو الذي انتهت مدته سنة ١٩١٢ ثم اوهانس قيومجيان باشا . وقد انتخب جميع هؤلاء المتصرفين من داود باشا الى قيومجيان باشا بعد موافقة الدول العظمى من أبناء الطوائف المسيحية الخاضعة للدولة العثمانية والغريبة عن لبنان وان يكن النظام الأساسي لا يمنع مطلقاً تعيين متصرف من أبناء لبنان أنفسهم

وكان تأثير أولئك المتصرفين في سير لبنان في معارج التقدم المادي والرقي الأدبي ضعيفاً جداً فاذا استثنينا بعض مئات الكيلومترات من طرق

العربات التي أنشأوها بأموال جمعوها من الأهالي فانهم لم يأتوا عملاً يساعد على اتساع نطاق الزراعة والصناعة والتجارة ولم يتخذوا تدابير لمنع تجريد لبنان من الغابات ولغرس غابات جديدة بدل تلك الغابات العظيمة التي كانت تغطي قمم الجبال وسفوحها وهضابها ولا لاستعمال مياه الأنهر للزراعة أو لتوليد قوة محركة بدلاً من أن تنصب في البحر دون أن تجنى منها فائدة ولا لتحسين أساليب الزراعة وادخال زراعات جديدة في الجبل ولا لتجفيف المستنقعات ولا للمحافظة على الصحة العمومية . وكل ماتم من النجاح والترقي في جميع فروع العمران يعود الفضل فيه الى همة ونشاط الأفراد الذين كانوا في بعض الأحيان يكافحون ويحاربون اهمال الحكومة ويعانون الأمرين من مقاومتها الخفية . فاذا كانت الصحة العمومية جيدة في لبنان ومعدل العمر طويلاً وعدد الشيوخ الأشداء كثيراً فالفضل في ذلك ليس لتدابير صحية اتخذتها الحكومة بل لهواء الجبال النقي المنعش وعيشة الأهالي السليمة القنوعة . واذا كان الأمان مخيماً فوق ربوع لبنان بينما حوادث الاعتداء على الأنفس والممتلكات تتتابع في بعض البلاد المجاورة له فالفضل في ذلك يعود الى حسن أخلاق اللبنانيين وآدابهم . واذا كان العدل أنفذ في لبنان منه في الولايات التي بجواره فالفضل في ذلك لقيام القاضي اللبناني بواجبات وظيفته حق القيام

والعلم منتشر كثيراً في لبنان ولكن الفضل في ذلك يعود الى المدارس والمعاهد العلمية العديدة التي قام بتشييدها والانفاق عليها الطوائف والجمعيات الدينية الأهلية والأجنبية ورجال الاكليروس والأفراد . ولا يوجد في متصرفية لبنان كلها مدرسة واحدة تنفق عليها الحكومة أو تمدها بشيء من المال

ولم يكتف بعض المتصرفين بما أظهروه من الاهمال فيما يعود على البلاد بالتقدم بل انهم قدموا مصلحة تركيا على مصلحة لبنان الموكولة اليهم ولم يحجموا عن خرق نظامه الأساسي الموضوع بموجب الاتفاق الدولي وذلك لأنهم انما كانوا يتذكرون دائماً أنهم موظفون عثمانيون قبل كل شيء، وأن مستقبلهم متعلق برضى الباب العالي عنهم

على أنهُ اذا كان المتصرفون الذين تعاقبوا على حكم لبنان منذ اكثر من نصف قرن لم يكن لهم يد في الرقي المادي والأدبي الذي أحرزه لبنان في تلك المدة فليس كل الذنب واقعاً عليهم لأن نظام لبنان وضع لميزانيته نطاقاً ضيقاً والايرادات غير وافية ولا يتيسر زيادتها لسد الحاجات المستجدة. وقد بقيت الى يومنا هذا مثلما حددها وكلاء الدول العظمى سنة ١٨٦١ بينما ميزانيات أغلب الممالك في العالم زادت اكثر من أربعة أضعاف الى ما قبل هذه الحرب

ومنذ انحازت تركيا الى ألمانيا والنمسا لم تعد ترد أخبار يوثق بها من لبنان وكل ما نعلمه من أمر هذا الجبل التاعس هو أن أهله المساكين يموتون بعشرات الألوف جوعاً ومرضاً وعرياً

الفصل الخامس

الأديان والأجناس والعادات

الإله بعل ومعناه في لغة الفينيقيين السيد كان أعظم آلهتهم وكان له أسماء عديدة تختلف باختلاف المدن فقد كان يسمى في صور بعل ملكرت وفي صيدا بعل صيدون وفي جبيل ووادي نهر ابرهيم بعل تموز أو عدون وسماه اليونان ادونيس . وكان الفينيقيون يعبدون الأصنام في جميع أشكالها وينحتونها في الصخور ولا سيما في الرجوم وكانوا يعتقدون أن الالوهية كانت تهبط فتقيم في تلك الأصنام ولذا دعوها بيت إيل أي بيت الله. وكانت الالهة عشتروت عظيمة الالاهات عندهم وكانوا دائماً يشركونها مع الإله بعل . وكانوا في جبيل يؤدون لها العبادة مقرونة غالباً بأعمال الفجور ويسمونها بعلة زوجة بعل . وكان لها في أفقا هيكل يحجون اليه وأطلق عليها الرومان اسم زهرة لبنان . وعبد الفينيقيون الشمس وكانوا يسمونها بعل شميم وعبدوا أيضاً سائر الأجرام السماوية وكانوا يقدمون الى بعل مولوخ ضحايا بشرية معظمها من الأطفال يلقونها في أتاتين مسجرة

وأدخل اليونان والرومان آلهتهم الى فينيقيا وشادوا لها الهياكل فعبدها الفينيقيون مع آلهتهم الوطنية . ثم جاءت النصرانية وانتشرت في مدن فينيقيا الساحلية لكنها لم تمتد في جبال لبنان في بادئ الأمر الآ ببطء غير أنهُ لم يكن القرن السادس حتى تقلصت الوثنية تماماً وقامت النصرانية على انقاضها . ولم يستوطن لبنان الآ نفر قليل من المسلمين ثم لجأ اليـــه كثيرون من الدروز

والمتاولة هرباً من الاضطهادات التي أصابتهم في السهول ولكنهم لم يجدوا لدينهم من بين اللبنانيين الأصليين أتباعاً بل إن عدد المتاولة في لبنان يقل في عهدنا هذا قلة مستمرة لأنهم أخذوا ينزحون الى الولايات المجاورة . واليوم يبلغ المسيحيون النازلون في ايالة لبنان المستقلة أربعة أخماس سكانه وهم الأكثرية في جميع أقاليمه حتى في اقليم الشوف حيث يربون قليلاً على الدروز والسنيين والشيعيين معاً

⁂

يصعب الفصل بين الشعوب المختلفة التي يتألف منها سكان لبنان من جهة وطوائفه المذهبية من جهة أُخرى فيجب اعتبار المذهب والجنس لفظتين مترادفتين في ذلك الجبل . وهذه حال خاصة به نشأت عن أنهُ لما انتشرت النصرانية في أنحاء سوريا الشمالية استعمل سكانها الذين اهتدوا الى النصرانية في طقوسهم الدينية اللغة اليونانية التي كانت إذ ذاك لغة الطبقات المتعلمة في تلك البلاد . أما في جبل لبنان فلم يكن الأمر كذلك لأن سكانه كانوا من أصل فينيقي وكانوا يتكلمون اللغة الأرامية أي اللغة السريانية وبما أنهم اهتدوا الى الدين المسيحي على يد رهبان أتوهم من شواطئ نهر العاصي وكان هؤلاء الرهبان لا يعلمون سوى اللغة السريانية استعمل أهل لبنان تلك اللغة في حفلاتهم الدينية . وهكذا نشأت طائفتان مسيحيتان لهما عقائد واحدة وطقوس دينية واحدة ولكنهما تختلفان الواحدة عن الأخرى من حيث الجنس ومن حيث لغة الطقوس . ولما افتتح العرب سوريا أقام عدد قليل منهم في بعض أنحاء لبنان . ثم جاء المتاولة والدروز وكانوا اكثر عدداً من العرب . وهذه الشعوب الثلاثة وان كانت تربطها صلة القربى تختلف بعضها عن

بعض اختلافاً تاماً ولكل منها دين خاص ولا يعقد الزواج بين أفراد شعب والآخر الاّ نادراً ولا يتزاوجون مع النصارى مطلقاً

وبما أن عدداً كبيراً من طائفة الروم أتوا الى لبنان وأقاموا فيه أصبح سكان الجبل مؤلفين من خمس [1] فرق كبرى تختلف في الدين والجنس. هذا عدا بعض جماعات صغيرة أخرى مؤلفة من نزلاء من أجناس غريبة عن لبنان . ولكل من هذه الفرق مميزات خاصة حتى أن الخبير بها يستطيع بسهولة أن يميز لأول وهلة بين السني والمتوالي والدرزي والنصراني . أما الفارق بين المسيحيين من الطوائف المختلفة فلا يظهر جلياً بسبب تمازجهم الكثير بالتزاوج

والطوائف المسيحية في لبنان هي – مرتبة بحسب أهميتها العددية – الموارنة والروم الارثوذكس والروم الكاثوليك . أما البروتستنت واللاتين والسريان والأرمن فليسوا الاّ جماعات قليلة العدد . والبروتستنت من دون سائر الطوائف لا يؤلفون جنساً قائماً بنفسه لأنهم مجموع مؤلف من طوائف دينية مختلفة اعتنق المذهب البروتستنتي . وغير المسيحيين في لبنان هم المسلمون السنيون والمتاولة والدروز . وعدد اليهود قليل جداً

الموارنة

تنتمي الأمة المارونية الى القديس مارون شفيعها . والقديس مارون ناسك ورع عاش في جبال سوريا الشمالية في أواخر القرن الرابع وصدر القرن الخامس

(١) يقسم الروم الى روم ارثوذكسيين وروم كاثوليك أو منضمين الى الكنيسة الرومانية . فيكون اذاً في لبنان حقيقة خمسة أجناس كبرى وست طوائف دينية اذ أن الروم يؤلفون أمة منقسمة الى طائفتين مختلفتين

منقطعاً الى الصلاة والتقشف والوعظ . وقد حذا حذوه عدد كبير من تلاميذه وكان معاصراً للقديس يوحنا فم الذهب وربطتهما صلات مودة . ولما مات نقل رفاته الى شواطئ نهر العاصي على مقربة من مدينة افاميا . ثم شيدت هناك كنيسة ثم دير أطلق عليهما اسمه ولم يلبث ان نال هذا الدير شهرة عظيمة حتى أطلق اسمه على النصارى المجاورين له الذين كانوا يتلقون التعاليم الدينية عن رهبانه ومن ذلك العهد عرفوا باسم الموارنة . وكوّن هؤلاء نواة طائفة تكاثرت في وادي نهر العاصي ونزح فريق منها الى شمال لبنان في القرن السابع هرباً من اضطهادات أشياع مذهب الطبيعة الواحدة في السيد المسيح

واشتهر أحد رهبان دير القديس مارون بالفضائل والعلم والغيرة الدينية فأقيم أسقفاً على البترون ثم صار عام ٦٨٥ بطريركاً على الطائفة المارونية وهو أول بطريرك لهذه الطائفة وهو مكرم عندها معروف باسم ماري يوحنا مارون ومن بعده تعاقب البطاركة على هذه الطائفة الى يومنا هذا دون انقطاع

ووالى الموارنة المهاجرة من شواطئ نهر العاصي الى شمال لبنان حيث امتزجوا بسكان البلاد . ثم أن كثيرين من سكان السواحل والسهول هربوا في أوقات مختلفة ولجأوا الى لبنان فراراً من ويلات الحروب والقلاقل والعسف فكونت جميع هذه العناصر المختلفة بعد تمازجها الأمة المارونية . وأخذت هذه تمتد تدريجاً في بلاد كسروان ثم في سائر أقسام الجبل . وهاجر عدد كبير من الموارنة الى فلسطين وحلب ودمشق الشام وقبرص ومالطة بل الى العراق أيضاً

وقد حارب الموارنة مع الافرنج جنباً الى جنب في عهد حروب الصليبيين وكانوا لهم مرشدين وأدلاء. ولما وصل القديس لويس ملك فرنسا الى فلسطين

انضم اليه خمسة وعشرون ألف ماروني بقيادة أميرهم يظللهم اللواء الافرنسي الأبيض المنقوش عليه زهر الزنبق ومن هذا التعاون الحربي نشأت الصداقة التي لا تزال الى يومنا هذا تربط فرنسا بلبنان . ولما استرجع المسلمون فلسطين وسوريا أقام كثيرون من الافرنج في جبل لبنان بين الموارنة واختلطوا بهم اختلاطاً تاماً. وقد حافظت الأمة المارونية في جبالها الشماء على أخلاقها وعاداتها ودينها واستقلالها على ممر العصور فان الغزاة الذين دوخوا سوريا لم يقدروا أن يجتاحوا معاقلها المنيعة فاكتفوا بأن يفرضوا عليها جزية خفيفة . فكان يحكمها أمراؤها ومشايخها ومقدموها . ومن أقدم الاسر التي لعبت دوراً مهماً في تاريخ لبنان الأمراء الشهابيون الذين كانوا مسلمين واعتنق اكثرهم الدين المسيحي في أواسط القرن الثامن عشر والأمراء اللمعيون الذين نالوا لقب الامارة من الأمير حيدر شهاب سنة ١٧١١ وتركوا الدين الدرزي واهتدوا الى الدين المسيحي بعد الشهابيين بعهد قصير والمشايخ آل الخازن وآل الدحداح وآل الظاهر وآل حبيش وآل كرم وآل الخوري وغيرهم . وأفراد هذه الاسر عديدون في أيامنا هذه

والموارنة لم ينفصلوا قط عن الكنيسة الرومانية منذ القدم الى يومنا هذا ولهم طقوس دينية خاصة ولغة الشعائر الدينية عندهم هي اللغة السريانية . وحلقة نظامهم الاكليريكي تتألف من بطريرك واثنى عشر مطراناً وأسقفين وعدد وفير من الخوارنة . وبطريركهم يلقب ببطريرك انطاكية وسائر المشرق وينتخبه المطارنة والأساقفة ويوافق قداسة البابا على انتخابه ومقرّه في الشتاء بكركي القائمة على جنب تل ينحدر سفحه الى خليج جونيه وفي الصيف

الديمان القائمة على الضفة اليسرى لنهر قاديشا على مسافة عشرة كيلومترات من غابة الأرز الشهيرة غرباً

ويعقد المطارنة والأساقفة مجمعاً تحت رئاسة البطريرك فينتخبون مطارنة وأساقفة للابرشيات من بين المرشحين الذين يختارهم أهالي الابرشيات . أما النواب البطريركيون والمطارنة والأساقفة الذين لا ابرشيات لهم فينتخبهم البطريرك مباشرةً . والابرشيات هي ابرشيات بيروت فبعلبك ومُقام مطرانها عرامون فقبرص ومُقام مطرانها قرنة شهوان فصيدا ومُقام مطرانها بيت الدين فطرابلس ومُقام مطرانها كرم سده فدمشق الشام ومُقام مطرانها عشقوت فحلب . ويقيم مطران قورش الشرفي في مدرسة عين ورقة الاكليريكية . ويتولى شؤون ابرشيــة صور أسقف . ثم يوجد في القطر المصري مطران حائز لقب نائب بطريركي يدير الشؤون الروحية للطائفة المارونية في هذا القطر . ويوجد أيضاً ثلاثة مطارنة حائزين لقب نائب بطريركي يعاونون البطريرك في أعمال الطائفة . وفي رومية أسقف شرفي يقيم في المدرسة المارونية الاكليريكية هناك

وفي الزمن المــاضي لم يكن الخوارنة يسامون إلاَّ بعد أن يتزوجوا ولم يكونوا يعرفون من العلم إلاَّ الشيء القليل أما اليوم فان الشبان الذين يرغبون في الانضواء الى الكهنوت يتقنون العلوم في المداوس الاكليريكية والمدارس الأخرى العديدة في لبنان ومنهم من يتعلمون في المدارس الاكليريكية في فرنسا وفي مدرسة نشر الايمان في رومية ومرتبتهم في العلم عالية بوجه عام . وعدد الخوارنة المتزوجين يقل يوماً فيوماً . ويوجد عدا عن الخوارنة ١٣٥٠ راهباً متفرقين في ٦٢ ديراً تابعين لثلاث رهبنات تتبع كلها النظام الذي وضعه

القديس أنطونيوس . وقد أُنشئت حديثاً جمعية للمرسلين اللبنانيين الكريميين. ولهذه الجمعية أربعة أديرة تضم ٢٣ مرسلاً . والراهبات المارونيات يتبعن نظام القديس أنطونيوس ولهن تسعة أديرة تضم ٣١٥ راهبة . وأهم مدارس الموارنة هي مدرسة بيروت ومدرسة قرنة شهوان ومدرسة غزير ولهم أربع مدارس اكليريكية أشهرها مدرسة عين ورقة . على أن كثيرين من الشبان الموارنة يتلقون العلم في كلية الآباء اليسوعيين والكلية الامريكية في بيروت وفي مدرسة الآباء العازاريين في عين طورة وفي مدارس « الأخوة الماريست » العديدة في لبنان وفي المدن الساحلية

والأمة المارونية لا يقل مجموعها عن ٤٦٠ ألف نفس اذا حسبنا الموارنة المتشتتين في جميع أنحاء الدنيا . فان النازلين منهم في ايالة لبنان المستقلة يبلغون ٢٥٥ ألف نفس والذين في ولايات بيروت وسوريا وحلب ٧٠ ألف نفس والذين هاجروا الى القطر المصري وامريكا الشمالية وامريكا الجنوبية وأوستراليا وسائر أقطار العالم لا يقلون عن ١٣٥ ألفاً . والموارنة الذين في لبنان يؤلفون جمعاً كثيفاً في اقليمي البترون وكسروان المتجاورين وأغلبية كبرى في أقاليم المتن وجزين ودير القمر . أما في سائر الأقاليم فانهم يؤلفون اقلية يعتد بها

والموارنة مثل سائر الشعوب لهم صفات ممدوحة وعيوب فمن صفاتهم الممدوحة انهم شجعان أقوياء أذكياء نشيطون أهل ثبات وحذق ماهرون في التجارة مثل أجدادهم الفينيقيين مكرمون للضيف كعادة أهل الشرق حتى لو كانوا على فقر ولهم حدة التصور وسهولة اقتباس العلوم والصنائع. غير أنهم شديدو الثقة بأنفسهم الى حد الافراط مع ميل الى الاستهانة بسواهم والمباهاة بمكانتهم وعدم الانقياد لرؤسائهم . وهذه الأوصاف ليست خاصة

بالموارنة بل انها تنطبق على سائر الطوائف المسيحية في لبنان مع اختلاف في مظاهرها

الروم الارثوذكس

الروم الأرثوذكس السوريون هم سلالة سكان سوريا الأقدمين وروم نزلاء وقبائل عربية توطنت سوريا في القدم ولا سيما الغسانيين الذين يرجع عهد هجرتهم الى سوريا الى القرن الثالث للمسيح . وهم اكبر طائفة مسيحية في سوريا بعد الموارنة. واكثرهم أغنياء ذوو نفوذ بارعون في التجارة . ويبلغ مجموعهم ٣٢٠ ألف نفس منهم ٥٧ ألفاً في ايالة لبنان المستقلة ومنهم جماعات كبيرة في ولايتي سوريا وبيروت وفي فلسطين وامريكا الجنوبية وامريكا الشمالية والقطر المصري

والروم الأرثوذكس اذا نُظر اليهم من الوجهة الدينية يؤلفون مجموع كنائس مستقلة بعضها عن بعض كل منها خاضعة لرئيس قائم بنفسه لكنها تعمل جميعها بقوانين واحدة وتعتقد اعتقادات واحدة وتقيم الشعائر الدينية حسب طقس واحد . ولا يعترف الروم الأرثوذكس بوجود المطهر ولا بأبدية العذابات بوجه مطلق ويعتقدون ان الروح القدس لا ينبثق الآ من الآب ولا يخضعون لسلطة البابا والعماد عندهم بالتغطيس والمناولة بشكلي الخبز والخمر. ويتزوج الخوارنة عندهم قبل أن يرقوا الى درجة الكهنوت أما الرهبان والمطارنة والبطاركة فلا يتزوجون

والروم الأرثوذكس هم خلفاء كنيسة بيزنطية الرسمية القديمة أو الكنيسة الشرقية التي انفصلت عن كنيسة رومية في القرن الحادي عشر والممثلة في

أشخاص البطريرك المسكوني في القسطنطينية وبطريرك اسكندرية وبطريرك انطاكية وبطريرك أورشليم . على ان البلاد المسيحية التي انفصلت عن الدولة العثمانية وأعلنت استقلالها السياسي نالت استقلالها الديني أيضاً فصار لكل أمة منها اكليروس خاص وكنيسة خاصة وهكذا نشأ بالتتابع سينودس أثينا وسينودس سربيا وسينودس رومانيا وبطريركية كارلوفيتز (في كرواسيا) ومتروبوليتية قبرص ومتروبوليتية الجبل الاسود ومتروبوليتية هرمنستاد (في المجر) ومتروبوليتية كسرنوفيتز (في دلماسيا) ومطرانية جبل سيناء واكسرخسية البلغار . وقد نودي بمتروبوليت موسكو بطريركاً مستقلاً لروسيا في النصف الثاني من القرن السادس عشر ثم أنشئ السينودس المقدس سنة ١٧٢١ في عهد بطرس الأكبر . وجميع هذه الكنائس لها اعتقادات واحدة وان تكن مستقلة الواحدة عن الأخرى وكل واحدة منها تستعمل في الطقوس الدينية لغتها الوطنية

وقد حاول الروم الأرثوذكس السوريون أيضاً أن ينشئوا لهم كنيسة وطنية خاصة بهم ولكنهم لم ينجحوا الى اليوم الاّ بعض النجاح بسبب النفوذ العظيم جداً الذي يتمتع به العنصر اليوناني في الاستانة والمركز الواقعي الذي له من حيث نظام الكنيسة الأرثوذكسية في الدولة العثمانية . ولولا مساعدة روسيا لما تمكن الروم الارثوذكس السوريون في سنة ١٨٩٨ بالرغم من شدة كفاحهم من أن ينتخبوا بطريركاً ومطارنة وطنيين لبطريركية انطاكية ولا تزال البطريركيات والمطرانيات والأديرة وجميع الوظائف الاكليريكية العالية فى سائر أنحاء تركيا وقفاً على العنصر اليوناني

وكانت روسيا تحمى الارثوذكس فى الشرق كما تحمي فرنسا الكاثوليك

فيه . وكانت روسيا تستند الى المعاهدات لتبرير حقها فى حماية الارثوذكس وطالما حال تدخلها دون استفحال استبداد الحكام الأتراك وساعد على تحسين حال رعايا تركيا المسيحيين . وقد أنشأت جمعية روسية فى اكبر مدن سوريا وفلسطين مستشفيات ومدارس وكنائس وأرسلت كثيراً من الشبان الى روسيا لاتمام دروسهم هناك على نفقتها وكانت روسيا تجود كل عام على الأديرة والكنائس بهبات متنوعة

الروم الكاثوليك

الروم الكاثوليك أو الملكيون هم مسيحيو الكنيسة الشرقية اليونانية المنضمون الى كنيسة رومية . وهم والروم الارثوذكس من أصل واحد ويتبعون طقساً واحداً ولغتهم الدينية واحدة . ويلقب رئيس الروم الكاثوليك الديني ببطريرك انطاكية واسكندرية وأرشليم وسائر المشرق ويقيم فى مصر القاهرة أوفى دمشق الشام أو فى دير عين طراز في لبنان على شاطئ نهر الدامور . وتحت سلطته ١٥ مطراناً وأسقفاً منهم أحد عشر يتولون شؤون أبرشيات حلب فبيروت وجبيل فحمص وحماة فطرابلس فزحلة والبقاع فصيدا ودير القمر فصور فبعلبك فبسرى وحوران فعكا فبانياس . ويتولى شؤون دمشق الشام نائب بطريركي واثنان آخران يتوليان شؤون الروم الكاثوليك فى القطر المصرى وفلسطين . ويوجد أسقف شرف فى الاستانة . وقلما تجد عندهم خوارنة متزوجين . ويبلغ عدد رهبانهم ٣٤٠ فى ١٨ ديراً وهم يؤلفون ثلاث رهبنات تابعة لرهبنة القديس باسيليوس

ويبلغ عدد الروم الكاثوليك زهاء ١٥٠ الف نفس منهم ٣٣ الفاً فى ايالة

لبنان المستقلة ومعظم سكان زحلة منهم وجاليتهم في القطر المصري كثيرة العدد والثروة . وأهم مدارسهم في سوريا هي المدرسة البطريركية في بيروت

المسلمون

المسلمون متوطنون في غرب آسيا ونصف افريقيا الشمالي وهم كثيرو العدد في الجنوب الشرقي من أوربا وفي الهند وجزر مليزيا والصين . يشهد المسلمون بأن لا إله إلاّ الله وبأن محمداً رسول الله وكتابهم المقدس هو القرآن وأركان دينهم خمسة : الشهادتان وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت لمن استطاع اليه سبيلاً. ولا يصلي المسلمون إلاّ اذا كانوا متوضئين فيولون وجوههم شطر المسجد الحرام . واكل لحم الخنزير محرم عليهم وكذلك شرب الخمر . وليس تعدد الزوجات محرماً عندهم بل يجوز للرجل أن يتزوج شرعاً حتى أربع نساء بشرط أن يستطيع أن يعدل بينهن ولكن لما كان تنفيذ هذا الشرط عسيراً جداً ترى أغلب المسلمين ولاسيما أهل الطبقات الراقية لا يتزوجون إلاّ امرأة واحدة وتزداد هذه العادة شيوعاً بينهم يوماً فيوماً نظراً لرقي الأفكار وازدياد مصاعب المعاش

والغالبية الكبرى من المسلمين سنيون وهم على أربعة مذاهب : الحنفي والمالكي والشافعي والحنبلي . والسنيون في سوريا هم سلالة العرب الفاتحين والسوريين الذين اعتنقوا الاسلام وبينهم قليل جداً من الأتراك وفي لبنان المستقل من السنيين ١٦ ألفاً فقط

والسنيون شم شجعان نشيطون في عيشة الحضر أسخياء مكرمون للضيف بل ان شخص الضيف عندهم مقدس ففي القرى يدخل المسافر الى المكان

الذي أحضر فيه الطعام ويتناول منهُ دون انتظار الدعوة اليه وهم كثيرو الغيرة على شرفهم . وكتبهم ودواوينهم ملأى بمفاخر الآباء والأجداد ومآثرهم الممدوحة . وقصّة بطلهم عنترة العبسي تهزهم طرباً . وهم ولعون بالأمور العجيبة يقضي عامتهم سهراتهم في تلاوة قصص ألف ليلة وليلة وما ضارعها من القصص الموضوعة . أما تعلقهم بدينهم فشديد يحافظون على أحكامه أشد المحافظة وكثيراً ما ترى على حافات الطرق بل في الأماكن العمومية مسلمين يصلون خاشعين غير مكترثين البتة بما حولهم

ويوجد في الاسلام عدة مذاهب أهمها الشيعة . والفرق بين السنيين والشيعيين هو ان الشيعيين لا يعترفون بالخلفاء الثلاثة الأولين وهم أبو بكر وعمر وعثمان وانهم يذهبون الى أن الخلافة كان يجب أن تؤول بعد موت النبي الى علي ابن أبي طالب ابن عمه وصهره ويعدون الأمويين والعباسيين مغتصبين للخلافة . ثم انهم لا يخضعون للسنة . وتسعة أعشار العجم شيعيون وفى الهند منهم عدد وفير . وقد كان الخلفاء الفاطميون الذين حكموا مصر من القرن العاشر الى القرن الثاني عشر من الشيعيين . ويطلق غالباً على الشيعيين فى سوريا اسم متاولة وعددهم ٨٠ ألف نفس تقريباً . ولا يعرف أصلهم فمن الناس من يقول انهم من المغول ومنهم من يقول انهم من العجم ومنهم من يقول انهم من العرب . ويوجد فى سهول سوريا بعض جاليات شيعية من الأعجام والجركس والكرد . أما المتاولة فى ايالة لبنان المستقلة فيبلغ عددهم ٢٥ ألفاً

الدروز

. أصل الدروز مجهول والمظنون انهم من أصل عربي وهم ينتمون الى محمد بن اسماعيل الدروزي الذي تسميه كتبهم نشتكين وقد جاء في السنين الأولى من القرن الحادي عشر الى سوريا وأخذ يبشر بالوهية الحاكم بأمر الله الخليفة الفاطمي في مصر وقد نشر هذا المذهب أيضاً في سوريا حمزة بن علي بن احمد الذي يكرمه الدروز وقد أطلقوا عليه اسم الهادي . ويعتقد الدروز بوجود اله واحد تجسد مراراً وان الحاكم الذي هو آخر من تجسد فيه سيعود يوماً ليشيد ملكاً عظيماً ويكافئ الذين اعتنقوا مذهبه ويعاقب الذين رغبوا عنه . ويعتقد كذلك الدروز بالتقمص ويسمون أنفسهم موحدين ويقسمون الى طبقتين الجهال وهم عامة المؤمنين والعقال وهم وحدهم مطلعون على أسرار ديانتهم ولا يدخنون ولا يشربون القهوة ولا الخمرة

ولا يتزوج الدروز الا امرأة واحدة ولكنهم يقدرون ان يطلقوا بسهولة ومن عادتهم ان لا يعودوا يتزوجون المرأة المطلقة منهم . وهم متعلقون كثيراً بجنسهم شم أباسل أقوياء نشيطون مكرمون للضيف على جانب عظيم من اللطف غير انهم يُرمون بالتكتم والحقد . ومع انهم أثناء محاربتهم للنصارى أحرقوا جميع القرى التي دخلوها عنوة وذبحوا دون رحمة جميع السكان الذكور حتى الأطفال الرضع لم يتعرضوا للنساء بشيء ما . ويحترمون امراءهم ومشايخهم ويطيعونهم طاعة عمياء وقد كان هذا الانقياد لرؤسائهم من أسباب نجاحهم في حروبهم مع النصارى بينما كان هؤلاء غير متحدين ولا يطيقون سلطة أحد عليهم . وقد لجأ عدد عظيم من نصارى لبنان الى دروز حوران فراراً

من الجوع الذي كان يفتك بلبنان اثناء هذه الحرب فأضافهم الدروز وأحسنوا معاملتهم بكرم واخلاص فمحا عملهم الحميد هذا ما ربما كان لم يزل كامناً في قلوب المسيحيين والدروز من الحقد وطلب الثأر اللذين ولدتهما حوادث سنة ١٨٤١ وسنة ١٨٤٥ وبالأخص حوادث سنة ١٨٦٠

ومن الأُسر الدرزية الواسعة النفوذ الأمراء الارسلانيون ومشايخ آل جنبلاط وآل عماد وآل نكد وآل تلحوق وآل عبد الملك وغيرهم

ويبلغ عدد الأمة الدرزية الآن زهاء ١٥٠ ألف نفس منهم ٥١ ألفاً في اقليمي الشوف والمتن في لبنان وتسعة آلاف في اقليمي حاصبيا وراشيا في الجبل الشرقي و ٥٥ ألفاً في جبل حوران و ٣٥ ألفاً في متصرفية حماة

اللغات

كانت اللغة الفينيقية القريبة من اللغة العبرية لغة سكان لبنان الأقدمين وأهل الساحل المجاور . ثم أدخل الأشوريون في هذه البلاد لغتهم الآرامية أو السريانية فأخذت تحل محل الفينيقية شيئاً فشيئاً ولاسيما منذ هاجر بعض الموارنة من شاطئ نهر العاصي الى جبل لبنان . ثم صارت اللغتان اليونانية والرومانية فيما بعد لغتين رسميتين في سوريا ولكنهما لم تنتشرا بين عامة الشعب. ولما غزا العرب سوريا أدخلوا فيها لغتهم ، ولم يمضِ وقت طويل حتى صار جميع أهل سوريا يتكلمون بالعربية ولكن اللغة السريانية ظلت شائعة الى القرن السابع عشر في بعض قرى لبنان السحيقة بجوار نبع نهر قاديشا وهي الى اليوم لغة الطقوس الدينية لدى الموارنة والسريان والكلدان

واللغة التي يتكلمون بها اليوم في لبنان وجميع سوريا هي تحريف اللغة

العربية أما اللغة الفصحى فتستعمل في الكتابة فقط . ولا يعرف الشعب شيئاً من اللغة التركية ولا تستعملها حكومة لبنان الآ في مكاتباتها مع السلطات العثمانية

الملابس والأخلاق

يلبس اللبنانيون « السروال » و « الكوبران » من حرير أو جوخ أو قطن . ويلبس الدروز وكثير من النصارى « الغمباز » من حرير أو قطن ويتمنطق اللبنانيون بحزام عريض غالباً من حرير . ويلبس الفلاحون فوق ملابسهم عباءة . وغطاء الرأس عند اللبنانيين هو الطربوش المغربي أشبه بطربوش التونسيين ولكنه أصغر منه وزره أقصر . ويلف عقال الدروز حول الطربوش عمامة بيضاء من القطن أما المسلمون فيضعون عمامة بيضاء مزركشة بالحرير ومن كان منهم من سلالة النبي يلبس عمامة خضراء . على أن أهل اليسار من اللبنانيين صار يلبس اكثرهم البذلة الافرنجية ويضعون على رؤوسهم الطربوش التركي وبعض المسيحيين في المدن يلبسون البرانيط

أما النساء فيلبسن في الغالب زيّ الافرنجيات ولكن تغطين رؤوسهن « بطرحة » أو شال والمسيحيات اللواتي يلبسن البرانيط لا يزلن قليلات ولا تحجب النساء المسيحيات وجوههن من أي طبقة كنّ أما المسلمات والدرزيات فيحجبن وجوههن عن الرجال

وتصحب الزواجَ أفراحٌ عظيمة إذ يجتمع أهل العريس والعروس وأصحابهما عندهما ليالي عديدة قبل عقد الزواج ويسمرون الى طلوع الفجر وهم يحسون العرقي ويغنون ويرقصون على ضرب « الدربكّة » و « الدف »

وعزف « المنجيرة » . ويوم عقد الزواج تؤخذ العروس الى بيت العريس باحتفال عظيم بين غناء نساء الموكب اللواتي تغني كل واحدة منهن بدورها أغاني في مدح العريسين واسرتيهما وتعقب الأغاني الزغاريد والأهازيج

ليس من مشابهة بين الرقص الشرقي والرقص الأفرنجي فان الرقص الافرنجي يقوم به اثنان رجل وسيدة ويرقصان متخاصرين على نسق واحد يتبع في الغالب في جميع أنواع الرقص ويقضي بتحريك الرجلين فقط . أما في الرقص الشرقي فان الراقص يرقص حسبما توحى اليه قريحته فتارة يتقدم رويداً رويداً لاوياً خصره ذات اليمين وذات اليسار كالغصن الأملد وطوراً يحرك ذراعيه باناقة وظرف ويلوّح بمنديل فوق رأسه . وغالباً يرقص رجل وسيدة الواحد أمام الآخر فيتقاربان بتوازن ويتباعدان كأنهما يهربان وينحنيان الواحد نحو الآخر وينفصلان ويرافق الحضور الرقص بالتصفيق الموقّع وليس أبهر من رقص راقصة تحمل خنجرين وتتظاهر بالهجوم والدفاع بسرعة تدهش وخفة تخلب العقل . ويوجد ضرب من الرقص يقال له الرقص بالسيف والترس يقوم به شخص واحد أو شخصان يمثلان هجوماً بالسلاح . والفلاحون يرقصون غالباً رقص « الدبكة »

والآلات الموسيقية التي تستعملها أجواق الغناء هي « الكمنجة » و « العود » و « القانون » فهذه الآلات ومعها « الدفّ » او « الدربكّة » تساير وتعاون صوت المغنين . ومن ألطف الأغاني العامية « المعنَّى » و « القرّادي » وهي قطع شعرية صغيرة تناسب المقام بلغة العامة ينظمها وينشدها الغواة وكثيراً ما تنجلى فيها دقة الفكر وحسن الاشارة

ويميل اللبنانيون كل الميل الى المياه الجارية وكثيراً ما ترى أسراً كاملة

تغادر منازلها منذ الصباح وتذهب الى ضفة نهر أو مجرى ماء فتقضي هناك كل النهار حيث تجهز طعامها وترشف العرقي وتدخن بالنرجيلة . ولا يُشرب العرقي الاّ ومعه « المزَّة » وهي تتألف من خيار وخيار مكبوس بالخل وطماطم وحمص مقلي وحمص مملح وفستق وترمس وبذور بطيخ وقرع و « معلاق » خروف الخ . الخ

والتدخين بالنرجيلة شائع كثيراً في سوريا ولاسيما بين السيدات في المجتمعات وكثيراً ما ترى في المجتمع من النراجيل بقدر عدد الحضور. وفي الزيارات يقدمون أيضاً للضيوف شراباً بارداً أو مربى وقهوة

ويظهر اللبنانيون عواطف سرورهم بلهجة شديدة فاذا أرادوا أن يكرموا ذا مقام عال يزور جبلهم يذهبون الى ملاقاته جماعات جماعات ويسيرون معه منشدين الأهازيج الحماسية ومطلقين البنادق في الهواء بكثرة وكثيراً ما يقضون هزيعاً طويلاً من الليل وهم يوالون اطلاق البنادق

وللبنانيين شغف بالمواقع الجميلة ولذلك بنوا اكثر أديرتهم فوق هضاب يرتمي النظر منها على مشاهد طبيعية ساحرة للألباب

والطعام السوري بوجه عام عسير هضمه على المعد التي لم تألفهُ وأهم ألوان الطعام عند السوريين هى « الكبَّة » و « المحشي » و « اللحم المشوي » و « المجدَّرة » و « الفتُّوش » و « الحمص بطحينة » الخ . الخ

والخبز مدور بكثافة نصف سنتيمتر يبلغ قطره ١٢ الى ٢٠ سنتيمتراً . ويصنعون أيضاً في المزارع التي لايوجد فيها أفران ضرباً من الخبز يقال له

« المرقوق » وهو رقيق كالورق يبلغ قطره أربعين سنتيمتراً ويخبز هذا الخبز في « التنّور » أو على « الساج » ويمكن لفه مثل المنشفة

والحلواء في الغالب ثقيلة تصنع من دقيق القمح وسمن أو زيت وسكر وتحشى غالباً بالجوز واللوز والفستق والصنوبر وتخبز في الفرن . وأصناف الحلواء هي « الغريبّة » و « البرمة » و « البسمة » و « البقلاوة » و « القطايف » و « المشبّك » و « التمرية » الخ

واكثر اللحوم استعمالاً في الأكل عند اللبنانيين هو لحم الضأن أما لحم البقر فقلما يأكلونه وأقل منه لحم الخنزير . وللخروف السوري ذنب ضخم قصير مدور كله دهن ويكاد يكون عند كل اسرة في قرى لبنان على الأقل خروف واحد يأكل ورق التوت عدة أسابيع في الخريف ثم يذبحونه ويصنعون منه « قورمه » يخزنونها لفصل الشتاء

الفصل السادس

النظام السياسي

كان النظام الأساسي الذي وُضع سنة ١٨٦١ وعُدّل سنة ١٨٦٤[١] فاتحة طور جليل الشأن من أطوار نظام الحكم في جبل لبنان. فقد كانت البلاد قبل هذا العهد خاضعة لنظام سياسي اجتماعي يضارع طريقة الإقطاع التي ظلت في فرنسا وبعض اوروبا الى أواخر العصور المتوسطة فكان لبنان مقسوماً الى مقاطعات يمتلكها ويتوارثها الأمراء والمقدمون والمشايخ وكان عليهم ان يدفعوا الضرائب ويحشدوا عدداً من الرجال المسلحين وقت الحرب ولقد كان لبعضهم من القوة ما كان يغريهم أحياناً بالانتقاض على الأمير الحاكم. وكان هذا مطلق السلطة كما ان أرباب الاقطاعات كانوا مطلقي السلطة في اقطاعاتهم . ولم يكن من نظام موضوع لطريقة ادارة شؤون البلاد بل كانت هــذه الشؤون تدبر حسب التقاليد والعادات وكانت تضرب الضرائب بطريقة استبدادية حسب احتياجات الأمير وأرباب الاقطاعات ولذا لما كانت تفرض ضرائب فادحة على الأهالي كانوا يهيجون ويتمردون. وكان اذا صحت العزيمة على تسيير حملة يدعو الأمير أرباب الاقطاعات فيلبي هؤلاء الدعوة ويأتونه يتبعهم رجالهم من اقطاعاتهم وكل مقاتل يستحضر

---

(١) انظر نص نظام سنة ١٨٦٤ في الملحق الثالث

السلاح اللازم له على نفقته وينفق على نفسه طول مدة القتال حتى اذا انتهى عاد الى داره

وعلى اثر الحوادث التي جرت في سنة ١٨٤١ قسم لبنان شطرين أو قائمقاميتين وجعل على رأس كل قائمقامية أمير من أبناء البلاد ولكن هذا التقسيم لم يغير شيئاً يذكر في نظام الحكم. وفي سنة ١٨٤٥ أُنشئ في كل قائمقامية مجلس مؤلف من ١٢ عضواً عهد اليهم في توزيع الضرائب كل عام والفصل بين المتقاضين

فجاء نظام سنة ١٨٦١ و ١٨٦٤ ملغياً للامارة المطلقة الوراثية في أسرة واحدة وأقام على أنقاضها ادارة مستقلة استقلالاً ذاتياً على رأسها حاكم تعينه الدولة العثمانية لمدة محدودة بعد موافقة الدول الكبرى وله جميع اختصاصات السلطة التنفيذية. ومنعاً لسوء التصرف بهذه السلطة نص ذلك النظام على انشاء مجلس اداري يُرجع اليه في المسائل المالية ويبدي رأيه في كل أمر يعرضه عليه الحاكم. فألغى النظام امتيازات أرباب الاقطاعات ووضع أساساً لتنظيم الادارة والقضاء والشرطة وحدد مقدار الضرائب وبيَّن الطريقة لسد كل عجز يصيب ميزانية لبنان وأثبت وجوب احترام أرض لبنان بأن حظر على الحاكم أن يسأل السلطات العسكرية في سوريا ان تمده بجنود نظامية الاَّ في الأحوال الخارقة للعادة وعند الحاجة القصوى وذلك بعد استشارة المجلس الاداري

على انه بجانب هذه الفوائد المهمة التي ضمنها النظام الأساسي المذكور

للبنان توجد فيه نقائص وعيوب خفيت في بادئ الأمر يوم وضعه ولكن كرور الأيام أظهرها جلياً . وأول تلك العيوب هو طريقة انتخاب أعضاء المجلس الاداري . نعم ان مشايخ القرى الذين ينتخبون أولئك الأعضاء يختارهم الشعب ولكن بعد ان يتربع أولئك المشايخ في وظائفهم يصبحون موظفين خاضعين بحكم تلك الحالة لنفوذ ذوي السلطة الذين لا يتحاشون أن يرغموهم على انتخاب من يريدونهم هم – الأمر الذي ينقض مبدأ تمثيل الشعب . وكان الواجب إما أن ينتخب الشعب نفسه أعضاء مجلس الادارة وإما اذا استنسبت طريقة الانتخاب في الدرجة الثانية ان ينتخب أولئك الأعضاء مندوبون يعينهم الشعب لهذا الغرض خاصةً . وقد نفذ شيء من طريقة الاصلاح هذه في سنة ١٩١٢ بأن عدّل النظام تعديلاً يقضي بأن ينتخب أعضاء مجلس الادارة مشايخُ القرى ومندوبون يختارهم من يدفعون الضرائب بحيث ان كل مائة شخص ممن يدفعون الضرائب في بلدة واحدة يختارون مندوباً واحداً . وكان الواجب أيضاً أن يعطى أعضاء المجلس حقاً في مراقبة الادارة وتنبيه الحاكم الى ما يقع من الموظفين من الاخلال بواجباتهم وطلب محاكمة الموظفين الذين يقدمون على ذلك

ثم ان درجات الوظائف الادارية كثيرة اذ لا تظهر فائدة من تعيين مدير لكل مقاطعة لا يتجاوز معدل ما فيها من السكان عشرة آلاف نفس فان القائمقام الذي يتولى شؤون القائمقامية يكفي . كما ان النظام قضى بتشكيل ثلاث محاكم من الدرجة الأولى ولكنه أجاز للحاكم ان يزيد عدد

تلك المحاكم والآن يوجد منها ثمانٍ . نعم ان هذا الأمر سهّل للمتقاضين سبل الوصول الى القضاء ولكن نجم عنه ضرر جسيم وهو ان الحكومة أزاء زيادة عدد القضاة حددت لهم مرتبات ضئيلة طلباً للاقتصاد . فكان في الامكان أن تبقى المحاكم على العدد المنصوص عليه أصلاً أي ثلاثاً أو ان تكون أربعاً ويُنشأ في كل دائرة قضائية محاكم جزئية أو محاكم صلح ذات اختصاص أوسع من اختصاص مشايخ القرى

وكان النظام يقضي بأن تنظر كل دعوى تجارية في محاكم بيروت ولكن هذه الطريقة عُدّلت سنة ١٩١٢ فصارت محاكم لبنان مختصة بالنظر في الدعاوى التجارية التي تكون بين لبنانيين . ولكن لماذا قصر التعديل على القضايا التي تكون بين لبنانيين فلم يشمل القضايا التي يكون فيها المدعى عليه لبنانياً والمدعي من سكان الولايات ؟

ويقضي النظام بمعاقبة كل قاضٍ يخون واجبات وظيفته أو يأتي عملاً يجعله غير أهل لوظيفته بالعزل وبجزاء على نسبة الذنب الذي يرتكبه ولكنه لم يذكر شيئاً عن الأحوال الأخرى التي يحرم فيها من وظيفته وكان الأفيد حرصاً على استقلال القضاة أن ينص بعدم عزل أحد من القضاة الاَّ اذا ارتكب وزراً عظيماً وبعد أن يحاكم أو اذا ظهر ظهوراً تاماً انه أعجز من أن يقوم باعباء وظيفته

وجعل مجموع ايراد الضرائب العقارية سبعة آلاف كيس أو ٣٥ ألف ليرة عثمانية أو ٨٠٥ آلاف فرنك على الاكثر وقد كان الأفيد لمالية الجبل

أن لا تتبع طريقة فرض مال معين المقدار يوزع على البلاد بل ان تفرض الضريبة على كل ملك حسب مساحته وجودة تربته كما هي الحال في القطر المصري بحيث تستفيد خزينة الحكومة من ضرائب الأطيان التي تصلح وتزرع والأطيان الضعيفة التي تُحسن أحوالها. أما بحسب النظام الحالي فكلما زادت مساحة الأطيان المزروعة في البلاد قلّت قيمة الضريبة المفروضة على كل ملك بالرغم من ان مُعدَّل الضريبة زهيد جداً من الأصل

وحرم النظام لبنان من الرسوم الجمركية على الواردات التي ترد اليه من الخارج والصادرات التي يصدرها ومن ايراد مكاتب البريد والتلغراف الموجودة في أراضيه وبهذه الطريقة تخسر خزينة الجبل مبالغ جسيمة تذهب الى الخزينة العثمانية . غير ان النظام نص على أنه اذا زادت نفقات لبنان العمومية التي لا بد منها لسير ادارته بانتظام على ايرادات الضرائب يجب على الخزينة العثمانية أن تدفع فرق النفقات على شرط أن لا تكون حكومة الاستانة مسئولة عن الأشغال العمومية أو سائر النفقات غير الاعتيادية الا اذا وافقت عليها من قبل . فهذه الطريقة تجر ضرراً عظيماً على مصالح لبنان لأنها تحرم الجبل من ايراد عظيم ومحقق مقابل تعهد بسد عجز ميزانيته وهو تعهد غير مضمون أخذته على نفسها الحكومة العثمانية وهي رازحة تحت اعباء الديون وكان يشك منذ البداية في مقدرتها على الدفع وربما في حسن نيتها أيضاً ثم لأن هذه الطريقة تجعل انجاز الأشغال ذات المنافع العمومية متوقفاً على موافقة تلك الحكومة . وبالفعل قد توقفت الحكومة العثمانية عن دفع عجز

ميزانية جبل لبنان منذ حرب تركيا وروسيا سنة ١٨٧٧ مع انه لو كان لبنان يستولي على الرسوم الجمركية وايرادات التلغراف والبريد لاستطاع أن ينفذ الاصلاحات والتحسينات التي هو في أشد الاحتياج اليها سواء كان من الوجهة الادارية أو من الوجهة الاقتصادية

ولم يحرم لبنان من جماركه وبريده وتلغرافه فقط بل حرم أيضاً الانتفاع بموانيه فلا تنتاب مدن لبنان البحرية أي باخرة أو أي سفينة كبرى ولا يدخل شواطئه الاّ زوارق الصيادين أو مراكب صغيرة من التي تسير بقرب الشطوط . على أن اللبنانيين تمكنوا منذ عهد قريب قبل الحرب من حمل حكومة الاستانة على فتح مينائين من موانئ الجبل للسفن البخارية

والضرر الأكبر الذي جره النظام الأساسي المشار اليه على لبنان هو حصره في حدوده الحاليـة التي تطوق طرابلس الشام وتتجاوز قليلاً تلك المدينة الى الشمال ثم تمتد على أعالي الجبال المشرفة على سهول بعلبك والبقاع وتنتهي على بعد بضعة كيلومترات جنوبي صيدا . فلبنان في حاله اليوم محروم من السهول الخصبة ومن مدن بيروت وطرابلس وصيدا التي هي جزء غير منفصل عنه جغرافياً وتاريخياً واقتصادياً وكل ما له من الأرض قمم جرداء وسفوح صخرية

الفصل السابع

الأقسام الإدارية وأهم المدن

اختلفت حدود لبنان الإدارية باختلاف الأزمان وقد امتد حكم كثير من امرائه ليس فقط على لبنان الحالي وعلى مدن بيروت وطرابلس وصيدا وصور وحاصبيا وراشيا وبعلبك والبلاد التابعة لها والبقاع بل شمل مدينة طرطوس شمالاً ومدينتي صفد ونابلس جنوباً . والخريطة التي رسمتها هيئة أركان حرب الحملة الفرنسوية التي ذهبت الى سوريا سنة ١٨٦٠ و ١٨٦١ والجدول الاحصاءي لسكان أقاليم لبنان المرفق بتلك الخريطة[١] يعترفان بأن لبنان كان يشمل البلاد الآتي ذكرها :

أولاً : الأقاليم التي تتألف منها ايالة لبنان المستقلة الحالية . ثانياً : مدينة بيروت وأقاليم طرابلس وعكار وصيدا وصور (بلاد بشارة) ومرج عيون التابعة الآن لولاية بيروت . ثالثاً : اقاليم حاصبيا وراشيا والبقاع وبعلبك التابعة لولاية سوريا . وتطلق لفظة الولايات على الايالات التابعة للدولة العثمانية وهي لاتتمتع بالاستقلال مثل لبنان بل هي خاضعة لسلطة الباب العالي رأساً

واليك وصفاً مختصراً للأقاليم المختلفة السالفة الذكر :

إيالة لبنان المستقلة

أما إيالة لبنان المستقلة أو متصرفية جبل لبنان فتحدها شمالاً وجنوباً

---

(١) انظر الملحقين الاول والثاني

ولاية بيروت وشرقاً ولاية سوريا وغرباً مدينة بيروت والبحر الأبيض ويبلغ طولها ١٣٠ كيلومتراً تقريباً ومتوسط عرضها ٣٠ كيلومتراً ومساحتها أقل من أربعة آلاف كيلومتر مربع .

وسكان لبنان هذا حسب احصاء سنة ١٩١٤ يبلغ عددهم ٤٠٤ آلاف نفس منهم ٢٣٣ ألف ماروني و ٥٢ ألفاً من الروم الأرثوذكس و ٤٧ ألفاً من الدروز و ٣٠ ألفاً من الروم الكاثوليك و ٢٤ ألفاً من المتاولة و ١٥ ألفاً من المسلمين وثلاثة آلاف من أديان شتى على أن هذه الأرقام دون العدد الحقيق ويمكن تقدير مجموع سكان ايالة لبنان المستقلة بـ ٤٤٠ ألف نفس (قبل الحرب)

يدير شؤون لبنان حاكم أو متصرف يعينه الباب العالي لمدة خمس سنوات بعد موافقة الدول العظمى ويمكن تجديد تعيينه . وهذا الحاكم يعين ويعزل الموظفين والمستخدمين من أي رتبة ودرجة ويعاونه مجلس اداري مؤلف من ١٣ عضواً منهم خمسة موارنة وثلاثة دروز واثنان من الروم الأرثوذكس وواحد من الروم الكاثوليك وواحد من المسلمين وواحد من المتاولة . وهذا المجلس يرئسه الحاكم أو وكيله وله حسب قانون لبنان الأساسي أن يوزع الضرائب ويراقب ادارة الايرادات والمصروفات ويبدي رأيه الاستشاري في جميع المسائل التي يعرضها عليه الحاكم . فبموجب هذه السلطة يحدد المجلس الاداري الميزانية ويصرح بالمصروفات من أي نوع كانت ويراجع كيفية صرفها ويتولى بنفسه أمر المناقصات والمزايدات واستلام الأشغال والتوريدات . ومجمل القول انه يجمع بين يديه كل ادارة لبنان المالية ،

والدوائر الإدارية في مركز الحكومة العام تتألف من قلم الأمور الأجنبية والترجمة والقلم العربي والقلم التركي وادارة الحسابات وقسم المحفوظات (الدفترخانة) وأقلام أخرى فرعية تتعلق بهذه الأقلام الرئيسية . وادارة الحسابات موكولة الى مدير تركي تعينه وزارة المالية العثمانية ومهمة هذا القلم هي أن يقبض الايرادات ويدفع المصروفات ويمسك الدفاتر فقط لأن مراقبة الايرادات والمصروفات من شؤون المجلس الإداري

وأهم أبواب الايرادات هي الأموال المقررة وتشمل الأموال العقارية ومال الاعناق والرسوم على الطواحين ومعاصر الزيت . وسائر أبواب الايرادات هي ايرادات أملاك الحكومة والرسوم القضائية ورسوم جوازات السفر وضريبة الأغنام والماعز والمال الذي تدفعه شركة الريجي العثماني مقابل اباحة بيع مصنوعاتها في لبنان ورسوم الصيد ورسوم عربات الركوب وعربات النقل الخ الخ وليس في لبنان من ضريبة على المباني ولا يدفع اللبنانيون ضريبة الاعفاء من الخدمة العسكرية ولا رسوماً على الصنائع والتجارة (باتنت) ولا أموالاً غير مقررة كالتي تفرض على الأهالي على سبيل احتكار . الأ أن سكان القرى التي ينشأ فيها طرق عربات يدفعون ضريبة بنسبة مقدار الأموال العقارية المفروضة عليهم وذلك للقيام بنفقات بناء الطرق المذكورة

ولا ريب أن هذه الايرادات التي يبلغ مجموعها في العام ٧٠ الف ليرة عثمانيــة (أو ١٬٦١٠٬٠٠٠ فرنك) تقريباً لا تفي بالمصروفات الادارية وبحاجات البلاد وكان الواجب بحسب نص المادة ١٥ من نظام لبنان الأساسي أن تدفع خزينة تركيا العجز الذي يصيب ميزانيــة لبنان ولكن الحكومة العثمانية لم تدفع شيئاً من ذلك منذ سنة ١٨٧٧ بالرغم من مطالبة والحاح

حكام لبنان . وقد تجمعت متأخرات المبالغ التي كان يجب أن تدفعها الحكومة العثمانية بناء على المادة المذكورة حتى تجاوزت نصف مليون ليرة عثمانية (أو ١١،٥٠٠،٠٠٠ فرنك)

وقد اضطرت الحكومة اللبنانية لكي تعادل كفتا الميزانية أن تنشئ أبواباً للايرادات لم تذكر في النظام الأساسي وأن تقتصد في المصروفات الى أقصى حد فخفضت مرتبات الموظفين والمستخدمين وانقصت عدد رجال الشرطة وأقفلت جميع مدارس الحكومة وأجلت الى ما شاء الله انجاز أشغال المنافع العمومية من التي لا تضرب ضريبة خصيصة لدفع نفقاتها. وكان الحاكم يتناول مرتباً قدره ٣٦٠٠ ليرة عثمانية (أو ٨٢،٨٠٠ فرنك) في العام ثم خفض الى ٢٤٠٠ ليرة (أو ٥٥،٢٠٠ فرنك) وهو مبلغ لا يزال كبيراً ثم انهُ يقبض مبلغاً اضافياً قدره ٧٨٠ ليرة (أو ١٧،٩٤٠ فرنكاً) . أما سائر الموظفين والمستخدمين فيتناولون مرتبات زهيدة جداً فان وكيل مجلس الادارة يقبض ٤٢٠ ليرة (أو ٩،٦٦٠ فرنكاً) واكبر الموظفين بعده لا يتناول الواحد منهم اكثر من ٣٦٠ ليرة (أو ٨،٢٨٠ فرنكاً) ومرتب أميرالاي الشرطة ٢٧٩ ليرة (أو ٦،٤١٧ فرنكاً) ومرتب رئيس محكمة الاستئناف والنائب العمومي ٢٤٠ ليرة (أو ٥،٥٢٠ فرنكاً) ومرتب قضاة محكمة الاستئناف ١٨٠ (أو ٤،١٤٠ فرنكاً) ومرتب رؤساء المحاكم الابتدائية ١٢٠ ليرة (أو ٢٧٦٠ فرنكاً) ومرتب القضاة ٩٠ و ٦٠ ليرة ومرتب المستخدمين في الدوائر الادارية أو القضائية يتراوح بين ٢١٦ و ٣٦ ليرة (أو ٤،٩٦٨ و ٨٢٨ فرنكاً)

ثم ان ميزانية لبنان فضلاً عن قلة مواردها محرومة من ايراد لا يقل عن مائة الف ليرة عثمانية (أو ٢،٣٠٠،٠٠٠ فرنك) في العام . وهذا المبلغ هو

قيمة الرسوم الجمركية التي تتقاضاها خزينة الحكومة العثمانية في مواني بيروت وطرابلس وصيدا وموانى ايالة لبنان المستقلة عن البضائع الواردة من وراء البحار ويستهلكها سكان لبنان المستقل وعن حاصلات أرضه ومصنوعاته التي تصدر الى الخارج . مع أن العدل كان يقضى بأن يأخذ لبنان مثل سائر بلاد العالم الرسوم التي تدفع على مايستهلكه وينتجه وأن يستولي على جميع الأرباح التي تنجم مباشرة أو غير مباشرة عن احتكار بيع الدخان والتنباك والملح وعلى ضرائب الكحول والمشروبات الروحية التى تستهلك في لبنان لا أن يذهب كل ذلك الى خزينة وزارة المالية العثمانية

والدوائر القضائية تتألف – في مركز الحكومة العام – من دائرة حقوق استئنافية ودائرة جزاء استئنافيـة ولكل من هاتين الدائرتين رئيس وستة أعضاء من طوائف الجبل المختلفة أي الموارنة والروم الارثوذكس والدروز والروم الكاثوليك والمتاولة والمسلمين واذا كان أحد المتقاضين أمام احدى هاتين الدائرتين بروتستنتياً أو اسرائيلياً يضم الى تلك الدائرة مندوب من الطائفة التي منها ذلك المتقاضي . ورئيس دائرة الحقوق مارونى ورئيس دائرة الجزاء درزي . ويقوم بوظيفة النيابة أمام الدائرتين نائب عمومى واحد. وفي كل اقليم من أقاليم لبنان محكمة مؤلفة من رئيس وعضوين والرئيس يكون من الطائفة صاحبة الأغلبية في الاقليم والعضوان من الطوائف الأخرى الاكثر عدداً . أما قضايا المسائل الشخصية فمن اختصاص رجال الاكليروس عند المسيحيين والقضاة عند المسلمين والمتاولة ومشايخ العقل عند الدروز . ونظام القضاء الحالي في لبنان على ماتقدم وصفه يختلف عما نص عليه دستور لبنان الأساسي الذي وضع سنة ١٨٦٤

والتعليم منتشر في جميع أنحاء لبنان إذ فيه اكثر من ٨٠٠ معهد على من مدارس عالية ومدارس اكليريكية ومدارس أولية ومدارس ابتدائية أسستها وتنفق عليها الطوائف المختلفة والجمعيات الدينية والأفراد وتضم تلك المعاهد نحو أربعين الف تلميذ وتلميذة وعدد الذكور الذين يجهلون القراءة والكتابة لايذكر أما عدد الأناث فأكثر

والجندية تشتمل على الشرطة اللبنانية وفصيلة من عساكر الدراغون العثمانية تعسكر في بيت الدين بناء على طلب أحد حكام لبنان الأولين بعد موافقة المجلس الاداري . أما الشرطة فتألف من اميرالاي وبكباشيين وخمسين ضابطاً بين صاغقول اغاسي ويوزباشي وملازم أول وملازم ثان وطبيب عسكر وضابط منوط بالأعمال الادارية أو الكتابية و ٩٠٠ رجل بين صف ضباط وعساكر مشاة أو خيالة وموسيقيين. واميرالاي الجند ماروني يعينه ويعزله الحاكم بعد موافقة وزارة الحربية العثمانية والبكباشيان أحدهما ماروني والثاني درزي وملابس الصف ضباط والعساكر تشابه ملابس عساكر الزواف في الجيش الفرنسوي

وعاصمة لبنان الرسمية هي مدينة دير القمر الا ان الحاكم يقيم في الصيف في بلدة بيت الدين في السراي الواسعة ذات الهندسة العربية التي شادها حوالي سنة ١٨١٤ الأمير بشير شهاب الثاني على رابية على أقل من كيلومترين عن دير القمر وتقيم في تلك السراي أيضاً دوائر الحكومة اللبنانية . وفي الشتاء تنتقل أقلام الحكومة الى قرية بعبدا الواقعة على مسافة ثمانية كيلومترات الى الجنوب الشرقي من بيروت أما الحاكم فيقيم أغلب الأحيان في مدينة بيروت نفسها

وتقسم ايالة لبنان المستقلة الى ٨ اقاليم فيها ٤٧ مقاطعة و٩٤٣ مدينة وقرية ومزرعة. وهذه الاقاليم هي بحسب درجة أهميتها من حيث عدد السكان: الشوف فالمتن فالبترون فكسروان فجزين فالكورة فزحلة فدير القمر. ويدير شؤون كل منها قائمقام ولذا تسمى قائمقاميات ما عدا اقليم دير القمر الصغير فان له مديراً.

والقائمقامون ومدير دير القمر يرجعون في أمورهم الى الحاكم مباشرة وكل اقليم ما عدا زحلة ودير القمر يقسم الى مقاطعات يدير شؤونها موظفون اداريون بمرتبات يطلق عليهم لقب مديرين ويرجعون في شؤونهم الى القائمقامين ويعينون بناء على طلب هؤلاء.

اقليم الشوف – أما اقليم الشوف فهو في جنوب لبنان بين قضاء المتن شمالاً وقضاء جزين جنوباً وبين البحر الأبيض غرباً وسهل البقاع شرقاً ويقسم الى ١٣ مقاطعة فيها ٢٢٠ بلداً وعدد سكانه ١١٠ آلاف منهم ٤١ ألف درزي و ٣٤٨٠٠ ماروني و ١١٧٠٠ مسلم و ١١٠٠٠ رومي ارثوذكسي و ٨٢٠٠ رومي كاثوليكي و ١٥٠٠ متوالي و ١٨٠٠ من أديان مختلفة. وقائمقام القضاء ورئيس المحكمة من الدروز

وقصبة القضاء بعقلين وهي بلدة كبيرة على ربوة مغطاة بأشجار الزيتون على بعد كيلومترين ونصف كيلومتر على خط مستقيم عن دير القمر جنوباً وبينهما واد عميق وتبعد بعقلين عن بيروت ٢٤ كيلومتراً جنوباً بميلة الى الشرق. وهذه البلدة بناها آل معن وكانت مقراً لحكومتهم قبل أن ينتقلوا الى دير القمر وهي على ارتفاع ألف متر وأكثر عن سطح البحر وفيها من السكان ٣٥٠٠ نفس. أما في الشتاء فتنتقل حكومة الاقليم الى الشويفات

الواقعة على طرف غاب الزيتون المعروف باسمها وهي على بعد عشرة كيلومترات من بيروت جنوباً وعلى ارتفاع ٢٠٠ متر فوق سطح البحر ويبلغ عدد سكانها ٤٥٠٠ نفس وأهم شغلهم استخراج زيت الزيتون . وفي اقليم الشوف عاليه وسوق الغرب وبمكين وبحمدون وعين زحلتا وعين صوفر وهي مصايف يتوافد اليها سكان بيروت والمصريون لقضاء فصل الصيف ومعلقة الدامور الواقعة قريباً من البحر على بعد كيلومترين من مصب نهر الدامور وفيها أحسن مزارع التوت في لبنان . وأهم بلدان الشوف من حيث السكان بعد ما ذكرنا هي بتاتر وشميا وعبيّه وعرامون والباروك والمختارة حيث سراي آل جنبلاط ومزرعة الشوف ونيحا على ارتفاع ١١٠٠ متر وبالقرب من نيحا صخر علوه ٣٠٠ متر وهو معقل طبيعي لجأ اليه الامير فخر الدين المعني الثاني وحاصره فيه العثمانيون سنة ١٦٣٢

اقليم المتن – أما اقليم المتن فهو في وسط لبنان واسمه يشتق من موقعه لأن المتن هو الظهر أو الوسط وهو يكاد يشبه مربعاً مستطيلاً بين قضاء الشوف جنوباً وقضاء كسروان شمالاً وبين البحر وضواحي بيروت غرباً وزحلة وسهول البقاع وبعلبك شرقاً ويشتمل على ست مقاطعات فيها ١٧٩ مدينة وبلدة وقرية وكفرة وفيه من السكان ٩٨ ألف نفس منهم ٦٠٧٠٠ ماروني و١٦٦٠٠ رومي ارثوذكسي وعشرة آلاف درزي و٦٣٠٠ رومي كاثوليكي و٣٥٠٠ متوالي و٩٠٠ مسلم ومن ذوي أديان أخرى . والقائمقام ورئيس المحكمة من الموارنة

ومقر الحكومة في الشتاء الجديدة وهي قرية فيها ٨٠٠ ساكن تقريباً على بعد كيلومتر عن شاطئ البحر و ٦ كيلومترات عن بيروت شرقاً . وفي

الصيف تنتقل دوائر الحكومة الى بحنّس وهي قرية صغيرة على بعد ثلاثة كيلومترات ونصف كيلومتر عن بكفيا جنوباً غرباً . وبكفيا هذه من أهم مدن المتن وهي قائمة على ربوة علوها ٩٥٠ متراً تحت غابة من الصنوبر وكروم كثيرة ومنها يرتمي النظر الى البحر الأبيض ووادي نهر الكلب العميق الوعر . ومناخ بكفيا جيد وان يكن الضباب يخيم فوقها أحياناً في فصل الصيف . والنبيذ الذي يستخرج فيها لذيذ جداً وبينها وبين بيروت ١٧ كيلومتراً وهي شرقي بيروت ويؤمها طلّاب الاصطياف من كل جهة وعدد سكانها ٣٥٠٠ نفس . وعلى بعد ٥ كيلومترات عن بكفيا غرباً مدرسة قرنة شهوان المارونية مقرّ مطران قبرص . وعلى بعد كيلومترين عن بكفيا شمالاً مدينة بيت شباب المشهورة بصناعة الأجراس ومنسوجاتها القطنية وأوانيها الفخارية وعدد سكانها خمسة آلاف نفس . وعلى منحدر جبل صنين الغربي بسكنتا وهي بلدة كبيرة عدد سكانها أربعة آلاف نفس وهي على علو ١٤٣٠ متراً وتبعد ١١ كيلومتراً عن بكفيا شرقاً . ويجدر بنا ان نذكر أيضاً بلدة الشوير الذائعة الصيت بصفاء جوها وحمانا المشهورة بمعامل حل الحرير وبالقرب منها ينبجس أحد روافد نهر بيروت ورأس المتن وصليما والمتين وعنطورة المتين (وعلوها ١٣٦٠ متراً) وبعبدا مركز حكومة لبنان في الشتاء والحدث التي لا تزال فيها آثار قصور الأمراء الشهابيين وبيت مري وبرمانا القائمتين في موقع جميل على قمة جبل ارتفاعه من ٧٠٠ الى ٧٥٠ متراً تحيط بهما أشجار الصنوبر ويتوافد اليهما المصطافون في فصل الصيف لقربهما من بيروت

اقليم البترون — أما اقليم البترون فهو في أقصى شمال لبنان يحده جنوباً قضاء كسروان وشرقاً سهل بعلبك وشمالاً اقليم طرابلس واقليم عكار وغرباً

اقليم الكورة والبحر الأبيض. ويقسم الى تسع مقاطعات فيها ١٥٠ بلداً ويبلغ عدد سكانه ٩١ ألف نفس منهم ٧٧ ألف ماروني و ٦٩٠٠ متوالي و ٥٤٠٠ رومي ارثوذكسي و ١١٠٠ رومي كاثوليكي و ٦٠٠ مسلم. والقائمقام ورئيس المحكمة من الموارنة

وقصبة هذا الاقليم مدينة البترون (بوتريس عند الأقدمين) الواقعة على البحر الأبيض على بعد ٤٣ كيلومتراً على خط مستقيم عن بيروت شمالاً. بناها ايتو بعل ملك صور في القرن العاشر قبل المسيح لتكون قلعة تحمي الشواطئ ولكنها لم تنل قط أهمية كبرى وقد هدمها زلزال سنة ٥٥٠ ميلادية. ويوجد فيها مغاور مدافن ونواويس من عهد الفينيقيين ويبلغ عدد سكانها اليوم أربعة آلاف نفس. وفي الصيف تنتقل أقلام الحكومة الى الحدث وهي قرية كبيرة جميلة الموقع على ارتفاع ١٥٥٠ متراً فوق سطح البحر وهي عن البترون على بعد ٢٦ كيلومتراً من جهة الشرق

وعلى مسافة أقل من كيلومترين عن الحدث شمالاً بميلة الى الشرق مصيف البطريرك الماروني في الديمان . وعلى بعد ٨ كيلومترات عن الحدث شرقاً بلدة بشري الكبيرة القائمة على حرف نهر قاديشا الوعر وهي على ارتفاع ١٥٠٠ متر وفوقها ارز لبنان الشهير وعدد سكانها أربعة آلاف نفس. وأهم البلدان بعد ما ذكرنا هي اهدن (وارتفاعها ١٤٤٥ متراً) المشرفة على وادي نهر قاديشا على بعد ٧ كيلومترات عن الحدث شمالاً وهي من أحسن بلاد لبنان مناخاً وحصرون الجميلة الموقع على بعد ٤ كيلومترات عن الحدث شرقاً وزغرتا الواقعة على بعد ٧ كيلومترات عن طرابلس جنوباً بانحراف الى الشرق وهي مشتى أهالي اهدن وتنورين الفوقا ودوما التي علوها

١٢٥٠ متراً . وقرية الهرمل الواقعة على بعد كيلومترين عن نهر العاصي غرباً في أرض كثيرة الغابات تابعة لاقليم البترون وان تكن في وسط اقليم بعلبك

اقليم كسروان — أما اقليم كسروان فيحده من الشمال اقليم البترون ومن الشرق سهل بعلبك ومن الجنوب اقليم المتن ويفصله عنه نهر الكلب ومن الغرب البحر الأبيض ويشتمل على عشر مقاطعات فيها ٢٣٤ بلداً ويبلغ عدد سكانه ٦٨ ألف نفس منهم ٥٥٧٠٠ ماروني و ٩٦٠٠ متوالي و ١٩٠٠ رومي ارثوذكسي و ٨٠٠ من الروم الكاثوليك والمسلمين . والقائمقام ورئيس المحكمة من الموارنة

ومركز الحكومة في الصيف غزير وفي الشتاء جونيه . أما غزير فهي بلدة كبيرة مبنية على ارتفاع ٣٠٠ متر فوق رابية تشرف على البحر الأبيض وتبعد عن بيروت ٢٠ كيلومتراً شمالاً بميلة الى الشرق وهي غزيرة المياه الجارية وفيها مدرسة مارونية قائمة على تل يشرف على الوادي ومدرسة قديمة كان الآباء اليسوعيون يديرونها قبل ان أسسوا كليتهم في بيروت سنة ١٨٧٥ وعدد سكانها ٣٥٠٠ نفس . أما جونية فهي مدينة صغيرة قائمة في وسط خليج جونية على بعد ١٦ كيلومتراً عن بيروت شمالاً بشرق وهي أهم اسكلة في جبل لبنان ومستودع غلال عظيم تحيط بها البساتين والحدائق وجنائن الخضر وفيها معامل لحل الحرير وهي تنمو يوماً فيوماً وعدد سكانها الآن ٤٥٠٠ نفس

وعلى بعد كيلومتر ونصف كيلومتر عن جونية جنوباً بكركي مشتى البطريرك الماروني وحوالي جونية بلدة زوق ميكايل المشهورة بمنسوجاتها الحريرية ومشغولاتها المزركشة وعرقيها وزوق مصبح التي يستخرج فيها نبيذ

جيد وصربا وغوسطا القائمة على تل مغطى بالصنوبر والى شمالها مدرسة عين ورقة الاكليريكية المارونيـــة وساحل علما المشهورة بيساتين البرتقال والليمون والكباد والتي يوجد فيها أسماك محجرة وعين‌طوره المشهورة بمدرستها التي أسسها الآباء اليسوعيون في أواخر القرن السابع عشر ويديرها الآن الآباء العازاريون . وعلى منحدر جبل صنين الغربي مزرعة كفر دبيان والى شمالها ميروبا على نهر الصليب أحد روافد نهر الكلب ثم قرطبة فوق مجرى نهر ابرهيم العميق ثم العاقورة على ارتفاع ١٤٠٠ متر وبجوارها آثار طريق بناه الرومانيون كان يخترق لبنان من جبيل الى بعلبك

وعلى بعد ٦ كيلومترات عن مصب نهر ابرهيم شمالاً ثغر جبيل (قديماً جبل وعند اليونان بيلوس) وهي من أقدم مدن فينيقيا بل من أقدم مدن العالم . كانت مركز عبادة الاله ادونيس وفيها الى الآن قلعـــة بناها الصليبيون وفي المدينة والميناء قطع أعمدة قديمـــة من حجر الصوان . وقد اكتشفوا بالقرب منها مدافن قديمة فيهـــا قبور عديدة محفورة في الصخر وسكان جبيل في الوقت الحاضر أربعة آلاف نفس . وعلى بعد ٣ كيلومترات عن جبيل شمالاً بلدة عمشيت التي يبني أهلها منازلهم بحجارة يأخذونها من خرائب جبيل القديمة والى الشرق من جبيل قرية أهمج وقرية لحفد

اقليم جزين — أما اقليم جزين فهو الجزء الجنوبي من أرض ايالة لبنان المستقلة يحده شمالاً اقليم الشوف وشرقاً اقليم البقاع واقليم مرج عيون وجنوباً وغرباً اقليم صيدا ويشتمل على ثلاث مقاطعات فيها من القرى والمزارع والكفور ١٠٣ ويبلغ عدد سكانه ٢٧ الف نفس منهم ١٥٢٠٠ ماروني و ٦٧٠٠ رومي

كاثوليكي و ٣٥٠٠ متوالي و ٨٠٠ رومي ارثوذكسي ومثل هذا العدد من المسلمين ومن ذوي ديانات أخرى . وعدد الدروز فيه قليل جداً لا يتجاوز بضع عشرات . والقائمقام ورئيس المحكمة من الموارنة

وقصبة الاقليم مدينة جزين الصغيرة المبنية فوق ربوة علوها ٨٣٠ متراً على بعد ١٨ كيلومتراً عن صيدا شرقاً ويخترقها نهر جزين الصغير الذي ينبع في أسفل تل مجاور ثم يجاوزها وينحدر في الوادي بشكل شلال يسمى شالوف جزين وهناك ينضم الى نهر الباروك فيتألف منهما نهر الأولي وعدد سكان جزين أربعة آلاف نفس. وعلى بعد كيلومترين عنها شمالاً بغرب قرية بكاسين بقرب غابة صنوبر وبعدها قرية عازور القائمة في وسط غابة من الصنوبر والسنديان والى الغرب قرية روم والى الجنوب الغربي قرية قيتولة

اقليم الكورة – أما اقليم الكورة فموقعه بين اقليم البترون شرقاً وجنوباً والبحر غرباً واقليم طرابلس شمالاً . أما خده الشرقي فيتبع مجرى نهر قاديشا على طول نصفه الأخير الى بضعة كيلومترات عن طرابلس . ويشتمل على أربع مقاطعات فيها ٤٩ قرية وكفرة ويبلغ عدد سكانه ٢٦ الف نفس منهم ٢٠٤٠٠ من الروم الأرثوذكس و٣٤٠٠ من الموارنة و٢٢٠٠ من المسلمين . والقائمقام ورئيس المحكمة من الروم الأرثوذكس

تقيم حكومة الكورة في الصيف في أميون وهي مدينة صغيرة قديمة عدد سكانها ٤٥٠٠ نفس على بعد ٨ كيلومترات عن شاطئ البحر و١٣ كيلومتراً عن مدينة البترون شرقاً بانحراف يسير الى الشمال . وفي الشتاء تقيم الحكومة في انفه (نافين عند الصليبيين) وهي قرية على شاطئ البحر فيها خرائب قديمة ومغاور مدافن وحمامات ومعاصر وآثار قصر حصين من عهد الصليبيين .

وأهم البلدان الأخرى هي كسبه الواقعة في وسط غابة من الزيتون وبشمزين وكفرحزير وشكة الخ وفي قرية هري يجنون عسلاً جيداً. أما قرية القلمون (عند الأقدمين كالاموس) فانها ملحقة باقليم طرابلس غير تابعة لحكومة الجبل مع أنها في وسط اقليم الكورة وعلى بعد ٨ كيلومترات عن طرابلس جنوباً بغرب

اقليم زحلة – أما اقليم زحلة فهو واقع في شرق لبنان المستقل بين اقليم المتن والبقاع ولا يشمل سوى مدينة زحلة والمزرعتين التابعتين لها وهما عين الزوق وعين المزرعة . وزحلة مبنية على ارتفاع ٩٤٥ متراً فوق ربوتين يجري بينهما نهر البردوني أحد روافد نهر الليطاني وهواء زحلة نقي ولهذا يتوافد اليها طلاب الاصطياف في شهور القيظ ويحيط بزحلة كروم عنب وعلى ضفتي البردوني أشجار دلب عديدة ترمي ظلاً ظليلاً تروق فيه النزهة . وزحلة اكثر مدن لبنان سكاناً فان فيها ١٤ ألف نسمة منهم ٩٣٠٠ من الروم الكاثوليك و ٣٢٠٠ من الموارنة و ١٥٠٠ من الروم الأرثوذكس والمسلمين وخلافهم. ويستخرجون في زحلة العرقي والنبيذ الجيدين ولأهلها متاجر واسعة بغلال سهل البقاع . والقائمقام ورئيس المحكمة من الروم الكاثوليك

اقليم دير القمر – أما اقليم دير القمر فهو أصغر أقاليم لبنان قائم في وسط اقليم الشوف وفيه مقاطعة واحدة تضم سبعة بلدان ويدير شؤونه مدير ماروني ورئيس محكمته ماروني أيضاً . وعدد سكانه حسب احصاء سنة ١٩١٤ يبلغ ٦ آلاف نسمة منهم خمسة آلاف ماروني وألف من الروم الكاثوليك . وقصبة الاقليم مدينة دير القمر الصغيرة القائمة على منحدر ربوة تعلوها أشجار السرو والصنوبر وارتفاعها عن سطح البحر ٨٥٠ متراً وهي على مسافة ٢٢ كيلومتراً

على خط مستقيم عن بيروت جنوباً بشرق . ومنازل دير القمر متراكمة يعلو بعضها بعضاً ويتخلل سطوحها الرمادية سقوف بالقرميد الأحمر وشوارعها مبلطة ضيقة منحضرة. وتحيط بدير القمر كروم عنب وحدائق من التوت والتين فتظهر لابسة حلة خضراء تروق النظر. وهواؤها جاف صحي. وفي وسط المدينة نبع ينبجس من جانب الربوة ويخرج ماء نقياً بارداً غزيراً . وأهل دير القمر نشيطون حاذقون وكان عندهم عدة أنوال للحرير والقطن ولكن هذه الصناعة ضعفت لأنها لم تقدر أن تزاحم المنسوجات الواردة من الخارج . وكانت دير القمر مقر الأمراء المعنيين والشهابيين ولا يزال فيها القصر الذي بناه الأمير فخر الدين المعني الثاني وصارت في عهد أولئك الأمراء سوقاً عامة لجميع البلاد المجاورة . وتحيط بدير القمر قرى درزية كثيراً ما كان ينشأ بينهما منازعات تؤدى أحياناً الى سفك الدماء وقد أحرقها الدروز سنة ١٨٦٠ وذبحوا العدد الاكبر من سكانها الذكور ولم تنهض بعد تمام النهوض من تحت عبء هذه النكبة ويبلغ عدد سكانها الآن خمسة آلاف نفس تقريباً. وبينها وبين بيت الدين مقر الحاكم في الصيف طريق عربة جميلة تلف حول الوادي. ويظن بعضهم أن بيت الدين أصل اسمها بيت ديانا (الاهة الصيد والقنص عند الرومانيين). وفي بيت الدين شلال صغير جميل . أما سائر قرى ومزارع اقليم دير القمر فهي خلوات جرنايا ودردوريت ومعاصر بتدين ووادي الدير وبكرزاي

البلاد التابعة لولاية بيروت

البلاد التي تخص لبنان جغرافياً وان تكن تابعة من الوجهة الإدارية لولاية بيروت هى الأقاليم التابعة لمركز ولاية بيروت وجزء من متصرفية

طرابلس . والأقاليم التابعة لمركز ولاية بيروت هي مدينة بيروت وأقاليم صيدا وصور ومرج عيون

مدينة بيروت - أما مدينة بيروت (عند الأقدمين بريت) فهي عاصمة ولاية بيروت وواقعة في الدرجة ٥٤ و٣٣ من العرض الشمالي و ١٠ و٣٣ من الطول الشرقي (٣٠ و٣٥ من مقياس غرينتش) على الطرف الشمالي من رأس يمتد عشرة كيلومترات في البحر ومساحة أرضها ضيقة وحدودها من الشمال والغرب البحر ومن الشرق والجنوب ايالة لبنان المستقلة. والسهل التابع لبيروت مغطى ببساتين التوت الزاهية والى الجنوب الغربي منها حرج صنوبر يحميها من الرمال وهواؤها دافئ في الشتاء ولكن حرها في أشهر تموز وآب وايلول يضطر اهلها الى الانتقال الى جبال لبنان

شيد الفينيقيون بيروت نحو القرن الثاني والعشرين قبل المسيح وخربها تيفون ملك سوريا سنة ١٣٧ قبل المسيح ثم أعاد بناءها الرومانيون وسموها باسم جوليا اوغستا فليكس وأعطوا سكانها الحقوق المدنية التي لأهل مدينة رومة . وفي الجيل السادس بعد المسيح أصابها زلزال هدمها فقل عزها وانحط مجدها وفي سنة ٦٣٥ استولى عليها الخليفة عمر وأخذها بودوين الأول ملك أورشليم في عهد الصليبيين سنة ١١١٠ واسترجعها صلاح الدين سلطان مصر سنة ١١٨٧ ثم أخذها ثانية الصليبيون سنة ١١٩٧، وظلت بين أيديهم الى سنة ١٢٩٠ وغزاها الأتراك العثمانيون سنة ١٥١٦ مع سائر سوريا . وقد ظلت عهداً طويلاً تحت حكم امراء لبنان وكانت تروقهم الاقامة فيها وعمل الامير فخر الدين المعني الثاني على انماء التجارة فيها. وسنة ١٨٣١ احتلها ابرهيم باشا ابن محمد علي عزيز مصر ولم يجلُ عنها الاَّ سنة ١٨٤٠ بعد أن خربتها

الأساطيل الأوروبية المتحالفة. وقد هاجر اليها وتوطن فيها كثير من النصارى على أثر المذابح التي جرت سنة ١٨٦٠ ولا تزال المدينة من ذلك العهد تنمو وتزدان

وكانت بيروت في سالف العصور منارة العلوم والآداب. ومدرسة الحقوق الرومانية التي كانت فيها اشتهرت منذ الجيل الثالث بعد المسيح. وهي اليوم من أرقى مدن الشرق أدبياً فان فيها عدداً عظيماً من معاهد العلم أشهرها كلية ومدرسة الطب للآباء اليسوعيين وكلية ومدرسة الطب للمرسلين الأمريكيين ومدرسة الحكمة المارونية والمدرسة البطريركية للروم الكاثوليك ومدرسة الروم الأرثوذكس ومدرسة اخوة المدارس المسيحية (الفرير) والمدرسة الاسرائيلية ومدرسة راهبات الناصرة الداخلية المشيدة على ربوة تشرف على المدينة ومدارس راهبات ماري يوسف وراهبات القديس منصور دي بول . الخ . الخ ويجدر بنا ان نذكر هنا من المعابد الكنيسة الكاتدرائية المارونية الجميلة والجامع الكبير الذي كان فيما مضى كنيسة ماري يوحنا التي بناها الصليبيون

وتجارة بيروت زاهرة زاهية فانها متصلة بدمشق الشام وحلب بسكة الحديد وبمدن السواحل وداخلية البلاد بطرق العربات ولها ميناء صغير ولكنه امين يكفي لحركة الملاحة في الوقت الحاضر ويبلغ عدد البواخر التي تدخل هذا الميناء أو تقلع منه ألفاً في العام وعدد المراكب الشراعية ٢٥٠٠ ومحمول تلك البواخر والمراكب ١،٢٠٠،٠٠٠ طن وتقدر قيمة البضائع التي تصدر من بيروت الى الخارج في كل عام بأربعين مليون فرنك وقيمة الواردات بخمسة وخمسين مليون فرنك

وعدد سكان مدينة بيروت ١٣٠ ألف نفس تقريباً منهم ٣٩ ألفاً من

المسلمين و ٣٨ ألفاً من الروم الأرثوذكس و ٣١ ألفاً من الموارنة وعشرة آلاف من الروم الكاثوليك و١٢٠ ألفاً من البروتستنت والاسرائيليين واللاتين والسريان الكاثوليك والأرمن والدروز وخلافهم

اقليم صيدا – أما اقليم صيدا فحدوده في الشمال اقليم جزين وفي الشرق اقليم مرج عيون وفي الجنوب اقليم صور وفي الغرب البحر ويقسم الى ثلاث مقاطعات فيها ١٣٧ بلداً ويبلغ عدد سكانه ٢٥ ألف نفس منهم ٩٥٠٠ من المسلمين و ٥٥٠٠ من الموارنة و ٣٥٠٠ من الروم الكاثوليك وثلاثة آلاف من الروم الأرثوذكس و ٢٥٠٠ من المتاولة وألف من الاسرائيليين والبروتستنت واللاتين

وقصبة الاقليم هي مدينة صيدا (عند الأقدمين صيدون) الواقعة على البحر على مسافة أربعين كيلومتراً من مدينة بيروت جنوباً بانحراف الى الغرب . بنيت صيدا نحو القرن الخامس والعشرين قبل الميلاد وتعد من أقدم مدن فينيقيا وقد بقيت زمناً طويلاً صاحبة السيادة على البلاد الفينيقية الى ان نزعت صور التي تعدّ بنتها ومنافستها تلك السيادة منها واستولى عليها المسلمون تارة والصليبيون أحياناً وحصنها القديس لويس سنة ١٢٥٣ وأزهرت فيها التجارة في عهد الأمير فخر الدين المعني الثاني الذي شيد فيها جوامع وحمامات وقصراً وخانات (فنادق ومستودعات بضائع) . وسنة ١٨٤٠ هدمت الأساطيل الأوروبية المتحالفة قصر الميناء الحصين . وفي صيدا مدفن فينيقي ذو أهمية وحواليها الى حد نهر الأوّلي بساتين غناء من البرتقال والليمون تصدر أثمارها الى الخارج . وعدد سكانها ١٢ ألف نفس تقريباً ويبلغ عدد البواخر التي تدخل ميناء صيدا أو تقلع منها ثلاثين في العام وعدد المراكب

الشراعية ٩٠٠ ومحمول تلك البواخر والمراكب ٤٠ ألف طن

وأهم البلدان التابعة لاقليم صيدا هي جباع والنبطية وسرفند (ساربتا عند الأقدمين) ومزار والشقيف بالقرب من جبل وقلعة الشقيف. الخ. الخ

اقليم صور – أما اقليم صور فيحده شمالاً اقليم صيدا وشرقاً اقليم مرج عيون وجنوباً متصرفية عكاء وغرباً البحر الأبيض ويشتمل على ثلاث مقاطعات فيها ١٣٣ مدينة وبلدة وقرية وكفرة ويبلغ عدد سكانه ١٧ ألف نسمة منهم أربعة آلاف من المسلمين و٣٦٠٠ من الروم الكاثوليك و ٣٢٠٠ من الروم الأرثوذكس و١٩٠٠ من المتاولة و١٧٠٠ من الموارنة و ١٦٠٠ من السريان الكاثوليك وألف من الأرمن واللاتين وخلافهم

وقصبة الاقليم صور الشهيرة في التاريخ القديم وهي على مسافة ٣٥ كيلومتراً من صيدا جنوباً بغرب. بنيت صور قبل المسيح بثلاثة وعشرين قرناً تقريباً وكانت من أعمر المدن البحرية في العالم القديم وقد تاجر أهلها مع أبعد بلاد الدنيا المعروفة في ذلك العهد وأنشأوا مستعمرات عديدة أعظمها قرطاجة. والأرجوان الذي كانت تستخرجه صور لم يكن له مثيل وقد هدمها بختنصر ملك بابل بعد ان حاصرها ١٣ عاماً ثم أعيد بناؤها بعد بضعة أعوام ولكن الاسكندر هدمها سنة ٣٣٢ قبل المسيح وقد بقيت مستقلة الى عهد أغسطس قيصر وفي سنة ٦٣٨ استولى عليها يزيد أحد قواد الخليفة عمر وفي سنة ١١٢٤ فتحها الصليبيون وهدمها زلزال حدث سنة ١٢٠٢ فلم يُبقِ منها سوى بضعة منازل. وفي سنة ١٢٩١ استولى عليها الملك الأشرف خليل بن قلاوون سلطان مصر

أما اليوم فقد فقدت صور عزها القديم ومنظرها يدعو الى الكآبة إذ ليس حواليها شيء من النبات وفيها بقايا حصون منها بقايا برج على الشاطئ الى

جنوب المدينة وخرائب كنيسة بناها أهل البندقية في عهد الصليبيين وجعلوها باسم القديس مرقس ويبلغ عدد سكان صور الآن ستة آلاف نفس

ومن البلدان التابعة لاقليم صور قرية تبنين (عند الأقدمين تورون) وفيها قصر حصين استولى عليه صلاح الدين عنوة سنة ١١٨٨ وقرية قانا المشهورة بعسلها ومعارقة ورأس العين واسكندرونه . الخ . الخ

اقليم مرج عيون – أما اقليم مرج عيون فهو واقع بين اقليم حاصبيا شمالاً وشرقاً ومتصرفية عكاء جنوباً واقليمي صيدا وصور غرباً وفيه ثلاث مقاطعات فيها ٥٣ بلداً وعدد سكانه ١١ ألف نفس منهم ٤٣٠٠ من الروم الأرثوذكس و ٣٥٠٠ من المسلمين وألف من الشيعيين و ٩٠٠ من الموارنة و ٨٠٠ من الروم الكاثوليك وبعض مئات من الأرمن واللاتين وخلافهم

وقصبة الاقليم هي الجديدة وهي قرية كبيرة فيها ثلاثة آلاف ساكن واقعة بين رياض زاهية . وأهم البلدان في الاقليم هي هونين وفيها خرائب قلعة قديمة والحولة وبنت جبيل وقادس . الخ

والبلاد التابعة لمتصرفية طرابلس التي تخص لبنان جغرافياً هي جزء من اقليم طرابلس واقليم عكار كله

اقليم طرابلس – أما اقليم طرابلس فتحده شمالاً متصرفية اللاذقية وشرقاً أقاليم صافيتا وحصن الأكراد وعكار التابعة لمتصرفية طرابلس وجنوباً ايالة لبنان المستقلة وغرباً البحر الأبيض ويشتمل على ست مقاطعات فيها ٩١ مدينة وبلدة وقرية وكفرة ويبلغ عدد سكانه ٤٠ الف نفس منهم ٣١ الفاً من المسلمين و ٥٠٠٠ من الروم الأرثوذكس و ٢٥٠٠ من الموارنة والف من الروم الكاثوليك والباقي من اليهود واللاتين

والقصبة هي طرابلس الشام التي سماها المؤرخون اليونان تريبوليس أي المدن الثلاث لأنها كانت مؤلفة من ثلاث مستعمرات أسسها أهالي صور وصيدا ورواد . وفي طرابلس كان مجلس الشيوخ العام للممالك الفينيقية يعقد جلساته وكانت طرابلس زاهرة في عهد السلوقيين ومن بعدهم في عهد الرومان وقد دخلها العرب دون أن يلقوا مقاومة سنة ٦٣٨ واستولى عليها الصليبيون سنة ١١٠٩ بعد حصار طويل شيدوا في خلاله على رابية بالقرب من المدينة قصراً حصيناً لا يزال الى اليوم وهو يعرف باسم قلعة سانجيل . ولما جعلها الافرنج كونتية ازهرت وارتقت الى أن سقطت بعد ١٨٠ سنة بين ايدي قلاوون سلطان مصر فدثرها وشيد على انقاضها مدينة جديدة وقد خربت أبنيتها مراراً في العصور الوسطى على أثر زلازل قوية

والمدينة الحالية واقعة بالقرب من القصر الحصين على نهر أبي علي على مسافة كيلومترين من البحر وعلى بعد ٦٧ كيلومتراً عن بيروت شمالاً بانحراف الى الشرق . وعلى بعد نحو ثلاثة كيلومترات من طرابلس الى الشمال الغربي يوجد الميناء الذي هو بلدة قائمة بنفسها وفيه خمسة آلاف نفس وهو متصل بالمدينة بخط ترمواي . وفي السهل الذي بين الميناء والمدينة كثير من أشجار البرتقال والليمون. وعدد سكان المدينة وحدها بخلاف الميناء ٢٧ الف نفس وعدد البواخر التي تدخل الميناء أو تقلع منه ٣٦٠ في العام وعدد المراكب الشراعية ١٥٠٠ ومحمول البواخر والمراكب ٤٣٠ الف طن وتقدر قيمة البضائع الصادرة بثمانية ملايين فرنك وقيمة البضائع الواردة بأحد عشر مليوناً

وأهم بلدان اقليم طرابلس هي طرطوس (طرطوزا) وفيها قصر حصين وكنيسة من عهد الصليبيين وجزيرة رواد (عند الأقدمين اراد) الواقعة على

مسافة ثلاثة كيلومترات من البر وسكان هذه الجزيرة يتراوح عددهم بين ألفين وثلاثة آلاف نفس وكلهم إما نوتية وإما صيادو اسفنج ثم عمريت ثم عرقا ثم قرية القلمون الواقعة في وسط اقليم الكورة

والقسم من اقليم طرابلس الذي يخص لبنان جغرافياً هو مدينة طرابلس وقرية القلمون والساحل الممتد من طرابلس جنوباً الى النهر الكبير (الوتيروس) شمالاً

اقليم عكار - أما اقليم عكار فيحده من الشمال اقليم حصن الاكراد ومن الشرق متصرفية حماة ومن الجنوب اقليم بعلبك وايالة لبنان المستقلة ومن الغرب اقليم طرابلس. ويشتمل على ١٧٤ بلدة وقرية وكفرة ويبلغ عدد سكانه ٢٠ الف نفس منهم ١٦٣٠٠ من المسلمين و١٦٠٠ من النصيرية و١١٠٠ من الروم الكاثوليك و٦٠٠ من الموارنة و٢٠٠ من الروم الأرثوذكس وبضع مئات من اليهود والبروتستنت. وقصبة الاقليم هي بلدة عكار وعدد سكانها ٣٥٠٠ نفس وأهم البلدان هي قبيعات ونحرية ورومنية وعيدمون. الخ. وأهل هذا الاقليم يزرعون البصل بكثرة ويصدرونه ويصنعون سجاجيد مخططة فاخرة

البلاد التابعة لولاية سوريا

البلاد التابعة اداريا لولاية سوريا وتخص لبنان جغرافياً هي اقاليم حاصبيا وراشيا والبقاع وبعلبك التابعة رأساً لدمشق الشام مركز الولاية

اقليم حاصبيا - أما اقليم حاصبيا فيحده من الشمال والغرب اقليم البقاع ومن الشرق اقليم راشيا ومن الجنوب متصرفية حوران واقليم مرج عيون.

ويشتمل على ١٩ بلداً فيهـا من السكان ١٤ ألف نفس منهم ٣٥٠٠ من المسلمين و ٣٤٠٠ من الدروز و ٣٢٠٠ من الروم الأرثوذكس و ٢٠٠٠ من الموارنة و١٦٠٠ من الروم الكاثوليك و٣٠٠ من اليهود والبروتستنت . وقصبة الأقليم حاصبيا وهي مدينة صغيرة فيها من السكان خمسة آلاف نفس وموقعها في وسط كروم عنب وأشجار زيتون على المنحدر الغربي لجبل الشيخ على ارتفاع ٦٧٠ متراً وبالقرب منها نبع من ينابيع نهر الأردن . وقد أحرق الدروز حاصبيا سنة ١٨٦٠ وذبحوا عدداً من سكانها . وأهم البلدان هي الحبارية وعين حرشة وراشيا الفخار وشبعة الخ وفي هذا الاقليم كثير من الآثار والخرائب من عهد الفينيقيين والرومان .

اقليم راشيا – وحدود اقليم راشيا هي اقليم البقاع شمالاً واقليم وادي العجم التابع لدمشق الشام مركز الولاية شرقاً وجنوباً واقليم حاصبيا غرباً . وفيه ١٦ بلداً وقرية وكفرة فيهـا من السكان ١٤ ألف نسمة منهم ستة آلاف من الدروز و ٥٤٠٠ من الروم الأرثوذكس وألف من المسلمين وألف من الموارنة وبضع مئات من الروم الكاثوليك والسريان الكاثوليك . والقصبة هي بلدة راشيا القائمة على منحدر رابية على قدم جبل الشيخ تحيط بها الرياض من كل جانب ويشرف عليهـا قصر حصين قديم بناه الأمراء الشهابيون . وقد نكبت نكبة عظيمة سنة ١٨٦٠ وعدد سكانها في الوقت الحاضر ٣٥٠٠ نفس . وأهم البلدان هي ايحا وكفر قوق وركله وكفر شوبه وميمس والدير الأحمر المشهور بأوانيه الفخارية . الخ

اقليم البقاع – وحدود هذا الاقليم ايالة لبنان المستقلة واقليم بعلبك شمالاً واقليما راشيا ووادي العجم شرقاً واقاليم راشيا وحاصبيا ومرج عيون

جنوباً وايالة لبنان غرباً وفيه ٦٧ بلداً فيها من السكان ١٣ ألف نفس منهم ٨٣٠٠ من الروم الكاثوليك و ٣٠٠٠ من الموارنة و ١٤٠٠ من الروم الأرثوذكس وبضع مئات من المسلمين والمتاولة . والقصبة هي معلقة زحلة وهي بلدة كبيرة فيها من السكان ٣٥٠٠ نفس وتتصل بمدينة زحلة من الغرب . وأهم البلدان قرية شتوره المشهورة بكرومها وخمرها وتعنايل حيث يوجد للآباء اليسوعيين مزرعة تعد مثالاً يقتدى به في انشاء المزارع وقرية قب الياس وترى فوقها آثار حصن قديم جداً ومجدل عنجر والكرك وسغبين . الخ . وسهل البقاع خصب جداً وله المقام الثاني بعد حوران من حيث حاصل القمح .

اقليم بعلبك - وحدود هذا الاقليم في الشمال متصرفية حماة وفي الشرق اقليما النبك ووادي العجم التابعان لمركز ولاية سوريا وفي الجنوب اقليم البقاع وفي الغرب ايالة لبنان وفيه ٧٦ بلداً فيها من السكان ٣٠ ألف نسمة منهم ٩٨٠٠ من المسلمين و ٦٦٠٠ من المتاولة و ٦٢٠٠ من الروم الكاثوليك و ٤٥٠٠ من الروم الأرثوذكس و ٢٣٠٠ من الموارنة وبضع مئات من البروتستنت

والقصبة هي مدينة بعلبك الصغيرة الواقعة في سهل بعلبك على ارتفاع ١١٧٠ متراً . خصصها الفينيقيون لعبادة الاله بعل وكان اليونان يسمونها هليوبوليس أي مدينة الشمس وهي مشهورة بالآثار العظيمة الباقية من هيكل الشمس ولا يزال قائماً في هذه الخربات ستة أعمدة ضخمة مضلعة علو الواحد منها ١٩ متراً وفوقها تيجان من طراز الهندسة الكورنتية وفي الفناء الذي أمام الهيكل آثار كنيسة كبيرة كان الامبراطور ثيودوسيوس بناها

وطول هذا الفناء ١٣٠ متراً وعرضه ١١٠ أمتار . وأمامه ساحة قد حوّلها العرب الى قلعة . ويوجد في السور ثلاثة حجارة ضخمة جداً طول الواحد عشرون متراً تقريباً وعلوه أربعة أمتار وسمكه اكثر من ثلاثة . والى جنوب هيكل الشمس هيكل المشتري (جوبيتير) وهو من أجمل الهياكل القديمة في سوريا وأبقاها على عاديات الزمان وبالقرب منه الى الشرق هيكل صغير على شكل الدائرة كان مخصصاً للالهة الزهرة ولم تمسه يد الخراب

وكانت مدينة بعلبك زاهرة في عهد خلفاء الاسكندر وحكم الرومانيين ثم جاء المغول فنهبوها أول مرة سنة ١٢٦٠ ثم دمروها في صدر الجيل الخامس عشر وقد أصابتها بعد ذلك زلازل . وفيها اليوم من السكان خمسة آلاف نفس

وأهم البلدان النبي شيت ورأس بعلبك وفقيه وبريتان . الخ

٭

والبلاد التي مرّ بك وصفها وهي من الوجهة الجغرافية تؤلّف لبنان تمتد من النهر الكبير (الوتيروس) شمالاً الى رأس الناقورة جنوباً حيث تبدأ متصرفية عكاء ومن البحر الأبيض المتوسط غرباً الى الجبل الشرقي وهي تشبه في مجموعها مربعاً مستطيلاً طوله ١٩٣ كيلومتراً ومتوسط عرضه ٦٢ كيلومتراً ومساحته ١٢ الف كيلومتر مربع تقريباً وعدد سكان هذه البلاد يبلغ ٧٥٤ الف نفس منهم ٣٠٦ آلاف من الموارنة و ١٣٤ ألفاً من المسلمين و ١٢٥ الفاً من الروم الأرثوذكس و ٦٩ الفاً من الروم الكاثوليك و ٦٠ الفاً من الدروز و ٣٧ الفاً من المتاولة و ٢٣ الفاً من أديان أخرى

والضرائب والعشور ورسوم الجمارك ورسوم الاحتكارات وسائر الايرادات

العمومية في مجموع البلاد المذكورة تبلغ في العام ٧٣٠ الف ليرة عثمانيـة أو ١٦،٧٩٠،٠٠٠ فرنك

واذا أصلح نظام الضرائب والعوائد والرسوم تيسر زيادة ما يجبى منها زيادة كبرى وأول ما تجب المبادرة الى عمله من هذا القبيل هو أن تمسح جميع الأراضي مسحاً يجعل أساساً قانونياً لملكية العقارات ويسهل السبيل لتوزيع الضرائب عليها توزيعاً عادلاً . ويمكن أن يفرض مع الضريبة العقارية نوع من ضريبة على الايراد يدفعها أرباب البنوك والمشتغلون بتسليف الأموال والتجار وأرباب الحرف والمهن والمستخدمون والعمال وحملة الأوراق المالية ذات الريع والأسهم والسندات وما أشبه ذلك . وتفرض الضريبة على المباني في طول البلاد وعرضها . ثم ان احتكار بيع الدخان والتنباك والسجاير يعود على خزينة لبنان بايرادات عظيمة على أنهُ يجب تشجيع زراعة الدخان لأنها قد تكون مصدر ثروة للبلاد فلذلك يجدر أن تبقى هذه الزراعة حرة ولكن يشترط حينئذٍ أن تشتري الحكومة كل عام بأسعار منخفضة جزءًا من المحصول يحدد بحسب احتياجات البلاد والباقي من المحصول يصدر الى الخارج . ثم تفرض رسوم جمركية عالية على السجاير. التي تأتي من الخارج لحماية الاحتكار من مزاحمة تلك السجاير ويجب لصون آداب الشعب ولزيادة موارد الخزينة اللبنانية أن توضع رسوم عالية على المشروبات الروحية التي ترد من الخارج والتي تستخرج في البلاد إلاّ فيما يتعلق بالنبيذ المصنوع في البلاد فتخفض هذه الرسوم كثيراً واذا صدرت المشروبات الروحية والخمور التي تستخرج في البلاد الى الخارج تردّ الحكومة الى أصحابها الرسوم التي يكونون قد دفعوها. ويمكن أيضاً احتكار الكبريت وورق اللعب والبارود ووضع رسوم لنقل تكاليف الأملاك والارث

الفصل الثامن

اللبنانيون والمهاجرة

ان الحركة التى أفضت باللبنانيين الى مهاجرة بلادهم بكثرة وانتجاع بلاد الأجانب طلباً للرزق تشغل مكاناً عظيماً في تاريخ لبنان الحديث وقد أثرت تأثيراً شديداً في حال لبنان الاجتماعية والاقتصادية والمأمول أن سيكون للمهاجرين أثر محمود في مستقبل جبلهم

منذ أربعين عاماً كان اللبنانيون يكادون يجهلون المهاجرة الى البلاد الأجنبية . نعم أن كثيرين منهم كانوا ينحدرون الى المدن البحرية المطوقة بأراضي لبنان ليتعاطوا فيها الحرف الحرة والتجارة والصناعة كما يدل على ذلك دلالة واضحة نمو سكان مدينة بيروت العظيم إذ كانوا ٤٦ الف نفس سنة ١٨٦١ فبلغوا ١٣٠ الف نفس سنة ١٩١٤ . غير أن هذا الانتقال لم يكن مهاجرة حقيقية لأن اللبنانيين الذين كانوا ينزحون الى مدن السواحل كانوا يظلون يتفيأون ظلال جبلهم قريبين من قراهم وعلى اتصال دائم مع أهلهم وأصحابهم

بدأت المهاجرة بطورها الجدي لما أخذ اللبنانيون يشعرون بضيق جبلهم عن أن يسعهم بسبب تكاثرهم ونموهم لأن اللبنانيين في أعالي جبالهم لايزالون يحافظون على عادات العصور القديمة ويتمسكون كل التمسك بمبدأ التوراة القائل « انموا واكثروا » فالاسر المؤلفة من عشرة أشخاص أو اثني عشر شخصاً كثيرة في لبنان والاسر المؤلفة من اكثر من خمسة عشر شخصاً ليست

قليلة أيضاً . وايالة لبنان المستقلة ليس فيها الاّ قمم جرداء وسفوح مجدبة فلم يتمكن اللبنانيون من ايجاد حقول زراعية لهم الاّ بتفتيت الصخر فكان عملهم أشبه بعمل الجبابرة. ولكن السفوح القابلة لان تعد للزراعة قليلة المساحة وأتى زمن صارت فيه غير كافية لاخراج ما يحتاج اليه اللبنانيون لمعيشتهم فساءت حال اللبنانيين من الوجهة الاقتصادية بسبب استمرار تكاثر عددهم وعدم كفاية مستغلات أرضهم . أضف الى ذلك أن أثمان أهم محصولات الجبل مثل الحرير والزيت هبطت هبوطاً عظيماً فكانت النتيجة أن لبنان الذي كان يطعم ٢٧٠ الف نفس سنة ١٨٦١ لم يعد يكفي سكانه فيما بعد ولقد زاد عددهم ثلاثة أضعاف لولا المهاجرة لأنه اذا أضفنا الى الـ ٤٤٠ الف لبناني الذين كانوا في لبنان سنة ١٩١٤ المهاجرين الذين هاجروا في عشرات السنين الأخيرة البالغ عددهم ٣٠٠ الف نفس لكان عدد اللبنانيين ٧٤٠ الف نفس. ثم ان الأمان المخيم في جبل لبنان وانتشار العلم وسهولة المواصلات التي تجعل سكان المزارع على اتصال دائم مع الأماكن الآهلة بالسكان كل هذه الأمور أوجدت عند الأهالي من الاحتياجات والتطلع الى الرخاء ما لم يكن تحقيقه ميسوراً في بلادهم الفقيرة الضيقة النطاق فصار لابد من ميادين جديدة لأولئك السكان المتكاثر عددهم ولأولئك الشبان الذين يخرجون كل عام من المدارس العديدة المنتشرة في جميع أنحاء لبنان .

فالسبب الأول في مهاجرة الالوف من اللبنانيين الذين في عنفوان العمر كل عام – تلك المهاجرة التي خفضت عدد سكان لبنان الى ثلاثة أخماس ما كان يجب أن يكون في أحوال عادية – هو القانون الأساسي الذي وضع سنة ١٨٦١ وسنة ١٨٦٤ فان أشد ضرر جلبه على لبنان الذي انما وضع

لأجل نفعه هو حصره ذلك الجبل في حدوده الحالية لأنه لو كان وُضع هذا التحديد على قاعدة العدل والحق والسياسة البصيرة فضُمت الى لبنان الأراضي والثغور البحرية التي هي ملكه من أوجه كثيرة لكان القسم الأكبر من تيار هذه المهاجرة قد تحول الى أراضٍ خصبة هي الآن مهملة والى مدن عامرة كان في وسع اللبنانيين أن يطلقوا العنان لنشاطهم فيها بل ما كنا رأينا ذلك المشهد المؤلم مشهد أناس في ضنك شديد من العيش يرمون من أعالي صخورهم نظرات اليأس الى ما عند سفح جبلهم من السهول الواسعة الخصبة التي يقصيهم عنها اختلال الامن واستبداد الحكام العثمانيين ومرض الارتشاء المنتشر فيها

ان اللبنانيين الذين اضطرهم ضيق نطاق جبلهم وقلة موارد الرزق فيه الى المهاجرة تفرقوا في جميع أنحاء المعمور فنهم الجاليات العديدة في الولايات المتحدة الأميركية والارجنتين والبرازيل والمكسيك وكندا والقطر المصري. وقد أقام بضعة ألوف منهم في انجلترا وفرنسا وشطوط افريقيا الغربية وجنوب افريقيا وأوستراليا ومنهم من ذهب الى الهند وجزر ماليزيا والصين واليابان. وكثيرون من هؤلاء المهاجرين بعد أن يتعاطوا في بادئ الأمر حرفاً شاقة يجمعون شيئاً من المال ويتعاطون به التجارة والصناعة والزراعة وقد بلغ نخبة منهم بالجد والنشاط مقاماً رفيعاً في الادارة والقضاء والجيش والمالية والبنوك والتجارة الواسعة والأملاك العقارية والمهن والحرف والصحافة والعلوم والأدب والفنون وليس من ينكر أن الكتاب والشعراء اللبنانيين من أعظم دعائم نهضة اللغة العربية . وجرائد اللبنانيين منتشرة في جميع بلاد الشرق

من المعلوم أن المهاجرة اذا اشتدّ تيارها تضر بالبلاد لأنها تحرمها القوى

الحية التي لولا المهاجرة لساعدت فى نجاحها وانماء عظمتها وثروتها . انها تفقدها الأيدي التي تحتاج اليها الزراعة والصناعة والمشاريع الكبرى من الأشغال العمومية وأعمال التحسين العام وتجعلها دون البلاد المجاورة التي تكون بكثرة سكانها ونشاطهم أقوى منها سلاحاً في مضمار الحرب الاقتصادية فتسبقها وتتقدم عليها في أسواق العالم. هذا ولما كان معظم المهاجرين اللبنانيين من الذكور الأصحاء وجمهور المتخلفين في الجبل من الشيوخ والنساء والأولاد قد نجم عن ذلك قلة الأيدي العاملة . ولكن بما أن الطبيعة والاتفاقات الدولية قد ضيقت نطاق الأرض القابلة للزراعة في لبنان الحالي وبما أن الصناعة فيه كاسدة فكانت اضرار المهاجرة أخف عليه وطأة منها في البلاد الأخرى فضلاً عن ان المهاجرة أفادت لبنان فائدة كبرى بالأموال الجسيمة التي كان يرسلها المهاجرون الى أهلهم المتخلفين في الوطن فيستعين بها هؤلاء على سد عجز ايراداتهم الباقية على حالها وهى لا تفي بنفقاتهم المتزايدة بسبب نمو عدد الأسرة وغلاء أسباب المعيشة. ولا ريب ان انقطاع ورود الأموال من اللبنانيين المهاجرين الى أهلهم في الأوطان كان من أسباب الجوع والشقاء اللذين يفتكان في لبنان منذ اضطرام نار هذه الحرب

وكثيرون من اللبنانيين المهاجرين بعد ان يجمعوا بعض الثروة في المهجر يعودون الى أوطانهم ويمكثون فيها ويبتنون لهم منازل ويشترون أملاكاً وهذا ما رفع أثمان الأطيان الزراعية أضعافاً . وانك ترى الآن في جميع أنحاء لبنان ولاسيما في شماليه كثيراً من المنازل الجديدة ذات الهندسة البديعة الحاوية لجميع أسباب الراحة العصرية وقد باتت سطوح القرميد المنحنية تحل محل السطوح الترابية الأفقية لأن تلك أفضل من هذه في وقاية السكان

من رشح مياه الأمطار ومنع تكدس الثلج فوقها

فتوسيع لبنان الى حدوده الطبيعية يعيد اليه سهولاً فسيحة تكفي سكانه مؤونة ومدناً يتسابق فيها اللبنانيون في مضمار العمل والجد فيخف كثيراً تيار المهاجرة ان لم نقل ينقطع تماماً فان اللبنانيين بدل أن يقصدوا البلدان السحيقة انتجاعاً للرزق يهبطون السهول الواقعة على أقدام جبالهم فتعود هذه السهول المهملة والتي تكاد تكون خالية من السكان الآن الى ما كانت عليه في العصور السابقة يوم كان خيرها لا ينضب وكانت توصف بأنها اهراء المملكة الرومانية .

واذا أعيد لبنان الى كيانه وأصبح حراً واتسعت حدوده يستعين على تنظيم حكومته وادارته وقضائه وجيشه بأبنائه الغيورين الذين تمرنوا في البلاد الأجنبية وجنوا فيها ثمار الاختبار والعلم . ويعود اليه أرباب الأموال بأموالهم التي مع أموال الأجانب تعين على تأسيس الصناعات الكبرى وانجاز أشغال الري واستعمال القوة المحركة الموجودة في مياه الأنهر والسيول وفتح طرق عظيمة للمواصلات وتجفيف المستنقعات وغرس الغابات فينقلب لبنان من حال الى حال

الفصل التاسع

لبنان بعد الحرب

ماذا يكون مصير لبنان بعد الحرب وكيف يكون شكل الحكم فيه ؟

هذه مسئلة تحل باحدى الطرق الأربع الآتية وهي : الضم . أو الحماية مع بقاء لبنان مستقلاً استقلالاً اداريا واسع النطاق أو ضيقه . أو ادماج لبنان بسوريا بحيث تجعل ولايات متحالفة . أو الاستقلال التام . أما فكرة جعل لبنان مستعمرة فيجوز لنا أن نهملها مبدئياً فقد أعلن الحلفاء ان « احدى غاياتهم من هذه الحرب هي أن يعتقوا الأمم المظلومة من نير الحكومات الأجنبية المتسلطة عليها فهم يريدون قبل كل شيء أن يوطدوا السلام على مبادئ الحرية والعدل ». فاللبنانيون الذين حافظوا على استقلالهم الذاتي على ممر العصور والذين لهم من حيث الرقي الأدبي مقام لا يقل مطلقاً عن مقام كثير من شعوب أوروبا وأمريكا الحرة لا يُعتقد أن يكون لهم حكم سياسي أقل حرية من الحكم الذي تمتعوا به الى يومنا هذا ويعاملوا معاملة قبائل أواسط افريقيا المتوحشة . فان أقطاب السياسة اتفقوا في الخطب التي ألقوها من أعلى منابر مجالس النواب على نبذ كل فكرة ترمي الى استعباد الأمم الأجنبية

أما ضم لبنان الى احدى الدول دون قيد ولا شرط فانه مع ما فيه من الفوائد التي لا تنكر ينشأ عنه مصاعب جمة اذ هل يكون في طاقة شعب غربي أن يجعل أمة تختلف عنه كل الاختلاف في الجنس واللغة والأخلاق والعادات

تندمج فيه تمام الاندماج بحيث يصبحان كلاهما جسماً واحداً لا يجزأ ؟ ويجب أن ننظر هنا ليس فقط الى الطبقة العليا من الأمة اللبنانية التي تعلم معظمها في مدارس أوروبية لأن هذه الطبقة هي اقلية ضعيفة بل الى عامة الشعب اللبناني. فكيف يمكن أن يخضع ذلك الشعب لقوانين ونظامات وروابط وأحكام لم يألفها من صغره ؟ انه في هذه الحال لا بد أن تنقضي أجيال حتى يصير النظام الجديد مقبولاً دون استياء شديد ومعارضة خفية. ثم ان اللبناني الذي لم يجر عليه قط قانون الخدمة العسكرية الاجبارية هل يكون راضياً يوم يؤخذ ولده من عقر داره قسراً ليصرف بضع سنوات من أعز سني حياته في احدى الثكنات بعيداً عن أهله وبلده أو ليشترك في حملة استعمارية في أمصار سحيقة ؟ ان الرجل من عامة الشعب لا يكسب في العام اكثر من ٣٠٠ الى ٤٠٠ فرنك ويستطيع نظراً لعيشة البساطة والقناعة التي يعيشها أن يعول بهذا الايراد الضئيل أسرة كثيرة العدد فكيف يتمكن هذا أن يدفع الضرائب التي تفرض عليه في تلك الحال وقد يبلغ معدلها بعد الحرب عن كل نفس وفي كل عام قيمة مجموع كسبه السنوي مع ان كل ما يدفعه اللبناني اليوم من الضرائب لا يتجاوز أربعة فرنكات أي مائة مرة أقل. ثم كيف يفصل في مسئلة الأحوال الشخصية للمسلمين والدروز والمتاولة وهم ثلاثة أعشار سكان لبنان الغد كما يصبح بعد توسيعه الى حدوده الطبيعية ؟

أما وضع لبنان تحت حماية أو وصاية فانه مع ما فيه من الفوائد المادية يكون بمثابة تقهقر في سبيل الحرية ولا تقبله أغلبية اللبنانيين فان الشعب اللبناني حكم نفسه بنفسه منذ اقدم العصور دون أن يتعرض الأجانب لشؤونه ولقد جاء القانون الأساسي الذي وضع سنتي ١٨٦١ و ١٨٦٤ ووقعته الدول

الكبرى مثبتاً لاستقلال لبنان الذاتي . نعم ان هذا النظام بدل سلطة الأمير الوراثية بسلطة حاكم يعينه الباب العالي ولكن هذا التعيين لا يتم الاَّ بعد أن توافق عليه الدول العظمى كما وان سلطة المجلس الاداري المؤلف من أبناء الشعب اللبناني والمنتخب من مندوبيه تجعل سلطة الحاكم محدودة . فتبقى ادارة البلاد في الحقيقة بين أيدي أبنائهـا . واللبنانيون يعدون أنفسهم أهلاً لأن يظلوا يديرون شؤونهم بنفسهم. أما اذا وضعوا تحت حماية أو وصاية فان استقلالهم يقل عما كان عليـه في الماضي حين أن الشعوب التي عتقتها جيوش الحلفاء المظفرة من نير الأجانب لا تطمح الاَّ الى الحرية

وأما ادماج لبنان فى سوريا بعد ان تجعل ولايات متحدة فأمر لا ينظر اليه اللبنانيون بعين الرضى مطلقاً لأن لبنان طالما تمتع بامتيازات خصوصية وعاش عيشة حرة مع أن سوريا لم تكن الاَّ ولاية من ولايات الدولة العثمانية أو الدول والممالك التي أخضعتها لحكمها قبل الفتح العثماني . فاللبناني الأبي المستقل يرفض كل الرفض أن يكون تابعاً لحكومة ومجالس مركزية تسود فيها اكثرية سورية لا تربطه بها رابطة الجنس والتقاليد ولا رابطة العواطف والمصالح

ان المبدأ العظيم الذي هو رائد الحلفاء في علاقاتهم مع الشعوب المحررة هو أن يأذنوا لها بتقرير مصيرها فاللبنانيون القاطنون في جبل لبنان منفصلون الآن عن سائر العالم ولا يستطيعون أن يرفعوا أصواتهم غير أن أباءهم واخوتهم وأولادهم المنتشرين في جميع أقطار الدنيا يتكلمون بالنيابة عنهم ويطلبون أن تكون بلادهم مستقلة استقلالاً تاماً. وليس من ينكر أن لهم حق ابداء رأيهم بالنيابة عن أقاربهم المتخلفين بلبنان فان الجبل لمّا بات عاجزاً عن اطعام سكانه غادره عدد عظيم من أبنائه الذكور وهجروا الى البلاد الأجنبية وانكبوا

ومعظمهم في عنفوان العمر على الأعمال بجد ونشاط ليس فقط ليكسبوا رزقهم بل لكي يساعدوا أهلهم المتخلفين في الوطن أيضاً وهم الذين كانوا قبل شبوب الحرب يعولون والديهم الطاعنين في السن ونساءهم وأولادهم بما كانوا يرسلونه اليهم تباعاً من الأموال الكثيرة

على أن ذلك لايمنع من أن يكون البت النهائي بشأن مستقبل لبنان راجعاً الى اللبنانيين المقيمين الآن في لبنان فيستشاروا في شكل الحكم الذي يريدون أن يكونوا خاضعين له ولكن لكي تكون هذه الاستشارة مؤدية الى معرفة ارادة الشعب اللبناني الحقيقية يجب أن يمكّن هذا الشعب من التعبير عن رأيه بكل حرية دون ضغط ولا تأثير البتة ولذا يُرجى أن تتم الاستشارة تحت مراقبة مندوبين من قبل الدول العظمى ليس بعد تحرير لبنان مباشرة بل بعد عام إذ يكون اللبنانيون استعادوا نشاطهم المعهود وهمتهم الشماء بعد تقلص ظل أهوال النكبة العظيمة التي نكبوا بهـا . ويجب أن تسهل السبل للبنانيين المهاجرين ليعودوا الى أوطانهم ويتفاوضوا مع مواطنيهم المتخلفين هناك ويعاونوهم باختبارهم ونصائحهم ويُستشار من يكون منهم في لبنان وقت الاستشارة . على أنه اذا حالت مصاعب عظيمة دون استفتاء الشعب بأكمله فعلى اللبنانيين أن ينتخبوا بطريق الاقتراع العام جمعية وطنية من ٢٠٠ الى ٣٠٠ عضو تكون مهمتها تقرير مصير لبنان

ورب معترض يقول ماذا ضحى اللبنانيون على هيكل الحرية ليستحقوا الاستقلال الذي ينشدونه فنجيب بأن الضحايا التي ضحاها اللبنانيون عظيمة جداً فقد اتفقت الأنباء الواردة من مصادر مختلفة على أن ٢٠٠ الف لبناني أى ما يناهز نصف سكان ايالة لبنان الحالية قد ماتوا ضحية تعلقهم بالحلفاء

فيكون لبنان قد تكبد من خسائر الأرواح أكثر من سائر البلاد المحاربة مع مراعاة النسبة العددية إذ لم ينقضِ وقت قصير بعد أن خاضت تركيا غمار الحرب حتى احتلت لبنان عسكرياً ناقضة المواثيق الدولية المذيلة بتوقيعها ولم تكتفِ بأن الغت استقلاله وامتيازاته التي تمتع بها من غابر الأزمان بل عمدت الى تجويعه بطريقة منتظمـة فضربت حوله نطاقاً من الجند قطع الصلة بينه وبين سائر العالم فحرم اللبنانيون المؤونة التي كانت ترد لهم من السهول المجاورة والعقاقير والأدوية والملابس وباتوا مهددين بالفناء . أما اللبنانيون المهاجرون فقد تطوعوا أو جندوا ألوفاً في جيوش الحلفاء ولاسيما في جيش الولايات المتحدة

⁂

ولا يتيسر للبنانيين أن يعيشوا أحراراً ويتدرجوا في سبيل الرقي والفلاح إلاّ اذا نالوا علاوةً على الاستقلال السياسي توسيع لبنان الى حدوده الطبيعية

قد امتد لبنان في بعض أدوار تاريخـه من طرطوس شمالاً الى ما وراء صفد ونابلس جنوباً فلبنان لا يطالب اليوم بهذه المدن الخارجة عن الحدود التي رسمتها له يد الطبيعة بل يطالب بالأراضي التي سلخت عنهُ تباعاً مع أنها جزء منهُ من الوجهة الجغرافية والاقتصادية والتاريخية - تلك الأراضي الواردة في الخريطة التي وضعتها هيئة أركان حرب الحملة الفرنسوية التي جاءت سوريا سنة ١٨٦٠ وفي الجدول الاحصائي [1] لسكان أقاليم لبنان المرفق بتلك الخريطة. وحدود لبنان الطبيعية هي في الشمال النهر الكبير وفي الجنوب خط يمتد من رأس الناقورة الى بحيرة الحولة وفي الغرب البحر الأبيض المتوسط

(١) انظر الملحقين الاول والثاني

وفي الشرق السفح الشرقي لجبل أنتيلبنان (الجبل الشرقي)

ان بيروت وطرابلس وصيدا داخلة في أرض لبنان وهي تتناول منه المواد الغذائية التي لا غنى لها عنها وتستقي من المياه التي ترد لها من ينابيعه وسكانها يلجأون الى جبال لبنان في أيام القيظ ليتمتعوا بهوائها البليل. وبين مدينة بيروت والبلاد التابعة للولاية التي هي قاعدتها ٦٥ كيلومتراً من الأراضي اللبنانية في الشمال وأربعون كيلومتراً في الجنوب والسواد الأعظم من سكان بيروت من أصل لبناني ولا تحيا بيروت الا بتجارتها مع لبنان فهي تشتري منهُ الحرير والصوف وأثماره وجميع حاصلاته على اختلاف أنواعها فتصدرها الى الخارج ثم تبيعه منسوجات الحرير والقطن والمخمل والأجواخ والمعادن والأثاث والساعات الخ التي تجلبها من الخارج . وان نفس تربة بساتين البرتقال والليمون الجميلة التي هي ثروة وفخر طرابلس وصيدا مكونة من التراب الذي تجرفه المياه من جوانب الجبال اللبنانية والأثمار التي تزين تلك البساتين لاتينع الاَّ بفضل الرطوبة التي تأتي بهـا الأنهر المنحدرة من جبال لبنان . وخصوبة سهول بعلبك والبقاع ومرج عيون ناجمة من طمي المياه اللبنانية وهذه السهول واقعة بين سلسلة جبال لبنان الكبرى غرباً والسلسلة الصغرى المتفرعة منها والتي سميت لذلك أنتيلبنان شرقاً. وبلاد بشاره أي اقليم صور تغطيها شعب جبال لبنان الممتدة جنوباً وترويها الروافد الجنوبية لأحد أنهر لبنان الكبرى أي نهر الليطاني الذي يسمى عند أسفل مجراه نهر القاسمية . وحاصبيا وراشيا قائمتان على المنحدر الغربي لجبل الشيخ الذي هو آخر الجبل الشرقي من الجنوب . وجبال بلاد عكار ليست سوى أطراف سلسلة جبال لبنان الشمالية التي تنتهي في وادي النهر الكبير

كان لبنان في عهد الأمير فخر الدين الثاني المعني يشمل ليس فقط لبنان المستقل الحالي بل متصرفيتي نابلس وعكاء الحاليتين وجزءاً من بلاد حوران وبلاد بشاره وصيدا وحاصبيا وراشيا والبقاع وبعلبك وبيروت وطرابلس واقليم عكار وطرطوس وقد خضع أيضاً اكثر هذه البلاد لحكم الأمير بشير الثاني الشهابي وبقيت بيروت تابعة للبنان زمناً طويلاً في عهد المعنيين والشهابيين .

ورب معترض يقول ان بيروت هي ميناء دمشق الطبيعي واذا أعيدت الى لبنان أصاب التجارة الخارجية لسوريا الوسطى ضرر عظيم . فنجيب بأن هذا الاعتراض قد يكون وجيهاً لو لم يكن بين بيروت ودمشق الشام جبال لبنان العالية التي لا تنخفض عند مضيق ظهر البيدر الاّ الى ١٥٤٢ متراً فوق سطح البحر لتفسح ممراً لطريق العربات ولخط حديدي صغير جبلي ذي أسنان تساعد القطار على تسلّق الجبل وهما السبيلان الوحيدان للمواصلات بين سفحي لبنان فيما خلا المسالك الجبلية . ثم ان طريق العربات والخط الحديدي الذي لايستطيع الاّ نقل قليل من البضاعة والركاب يسدهما الثلج طول فصل الشتاء وتدعو الحال الى الاشتغال دائماً في جرفه منهما . فالميناء الطبيعي الحقيقي لدمشق ولسوريا هو حيفا حيث ينتهي خط سكة الحديد الذي يصل المدينة المنوّرة بدمشق وبالبحر . ثم ليس ما يمنع من جعل بيروت ميناءً حراً تخزن فيه ثم تمر البضائع الواردة لدمشق وسوريا الوسطى أو الصادرة منهما دون أن تدفع عنها رسوم جمركية

ان البلاد التي يتألف منها لبنان المستقل الحالي كانت تكفي أهله سنة ١٨٦١ اذ لم يكن يتجاوز عددهم ٢٧٠ ألف نفس ولم تكن احتياجاتهم كثيرة . أما اليوم فقد تبدلت الأحوال وتغيرت فان عدد اللبنانيين المتخلفين

في لبنان زاد اكثر من النصف فقد بلغ ٤٤٠ ألف نفس في مساحة تقل عن أربعة آلاف كيلومتر مربع أي ان في كل كيلومتر مربع اكثر من ١١٠ أشخاص يعيشون في أرض وعرة قليلة النتاج . مع ان فرنسا وهي بلاد زراعية صناعية وفيها سهول خصبة شاسعة الأطراف لا يوجد في كل كيلومتر من أرضها الاَّ ٧٣ شخصاً

وقد اضطر اللبنانيون للحصول على معيشتهم أن ينقبوا كل قطعة أرض في بلادهم مهما كان نتاجها قليلاً ففتتوا الصخور وبنوا مسطحات في كل مكان وجدوا فيه طبقة رقيقة من التربة الزراعية يؤملون منها جني ثمرة أتعابهم الشاقة فحوّلوا المنحدرات الصخرية الوعرة الى كروم عنب وبساتين توت وزيتون. غير ان الأرض القابلة للاصلاح تقل يوماً فيوماً . ومن جهة أُخرى زادت حاجات الأهالي وارتفعت أسعار اللوازم المعاشية حتى بلغت ضُعف ما كانت عليه قبلاً حين ان حاصلات البلاد هبطت أسعارها كثيراً. فاللبنانيون ضاقت عليهم بلادهم لكثرة سكانها ولذا لما لم يعودوا يجدون معاشهم في جبالهم القاحلة تسارعوا الى المهاجرة في الأربعين سنة الماضية وذهبوا الى البلاد النائية انتجاعاً للأرزاق ويبلغ اليوم عدد المتشتتين منهم في جميع أنحاء المسكونة ٣٠٠ ألف نفس

مع ان في لحف جبالهم سهولاً فسيحة جادت عليها مياه جبالهم بالخصب ، سهولاً كانت لهم في سالف العصور والأيام والطبيعة جعلتها جزءًا لا ينفصل من بلادهم ، سهولاً هي الآن مهملة لقلة الأيدي العاملة فيها ، فان سهل بعلبك ليس فيه الاَّ ١١ شخصاً في الكيلومتر المربع وسهل البقاع ليس فيه الاَّ ١٢ نفساً. فلو ضم هذان السهلان الى لبنان اداريًا كما انهما يخصانه جغرافيًا

وتاريخياً لانحدر العدد الزائد من سكان لبنان اليهما وزرعوهما وصار نتاجهما عشرة أضعاف ما هو اليوم. وكذلك يكون شأن اقاليم مرج عيون وبلاد بشاره وحاصبيا وراشيا وسهول بلاد عكار. ولم يكن يحول الى اليوم دون هبوط اللبنانيين الى تلك السهول والاقاليم الاّ اختلال الأمن فيها في عهد الحكومة العثمانية والخوف من تلك الحكومة الجائرة الجشعة الفاسدة

ولكن اذا كان اللبنانيون في طلبهم استقلال بلادهم يستندون الى المبدأ الذي نادى به الحلفاء والذي يقضي بأن تقرر الشعوب المحررة مصيرها بنفسها فان سكان البلاد التي يطالب بها لبنان يكون لهم الحق أيضاً بأن يختاروا هم أنفسهم الحكم السياسي الذي يريدون أن يكونوا خاضعين له. غير أن المبدأ السالف الذكر الذي أوحت بهِ عواطف العدل والتجرد من الغايات الشخصية انما وضع ليحول دون طمع الراغبين في ضم بلاد ليست لهم ولتتمكن الشعوب ذات الشأن من أن ترفع صوتها وتتصرف بأمرها حسب ارادتها. ولكن هل من العدل أن يطبق هذا المبدأ على سكان أراضٍ نزعت من بلاد لم تكف يوماً عن المطالبة بردها اليها؟ وهل يمكن أن تسقط بطول المدة حقوق شعب بملك اغتصب منهُ؟ على أنهُ مهما قيل بشأن حقوق لبنان في طلب استعادة تلك الأراضي لا يمكن أن ينكر عليه حق واحد تصغر في جانبه جميع الحقوق ألا وهو حق البقاء في قيد الحياة الذي لا يمكن أن ينكر على شعب كبيراً كان أو صغيراً قوياً أو ضعيفاً. فان لبنان لا يقدر أن يعيش وينمو بدون تلك الأراضي. وربما يكون سكانها مع من خالطهم من الغرباء الذين استوطنوها قد أثر بهم أهالي البلاد المجاورة فنسوا الصلات التي كانت تربط آباءهم بوطنهم الأصلي وهو لبنان فاذا استشيروا لم يطلبوا الانضمام اليه. ولكن

هل يُبطل هذا حق لبنـان في استعادة تلك الأقاليم ؟ ان بضع عشرات الألوف من السكان المتفرقين في تلك الأرجاء الفسيحة لايستطيعون أن يقوموا بزراعتها فيتركونها تجدب رغماً عن خصبها الذي كان يثير اعجاب الأقدمين فلو وضعت تلك الأراضي بين أيدي اللبنانيين وقد كانت تخصهم فيما مضى لكانت تكفي لضمان معاشهم الذي لايجدونه في جبالهم . ففي هذه الحالة هل تقضي شرائع العدل والانسانية على نصف مليون من الناس أن يظلوا الى الأبد يعيشون عيشة الفقر المدقع والبؤس لأن اكثرية طفيفة من سكان تلك البلاد يعارضون في ضمها الى لبنان صاحبها الشرعي و يفضلون أن يروها بائرة بدل أن تغطيها المزروعات التي تدرّ الثروة ؟ بعد بضعة أعوام يكثر سكان لبنان ويتناسلون فيستعيضون مَن فتك به الجوع والمرض منهم في مدة هذه الحرب الضروس فلا يكون أمام العدد الكبير منهم عندئذٍ الاَّ طريقان فاما أن ينحدروا الى السهول المجاورة لهم اذا صارت لبنانية وإما أن يموتوا جوعاً فوق صخور جبالهم

ان للبنان وطيد الثقة في ما أبدته الدول العظمى من حب العدل والعطف عليه والاهتمام بمصالحـه في ما مضى من الزمان فهو يتشوق أن يعيش حراً وأن يسترد البلاد التي كانت له وكان يجب أن تعاد اليه منذ سنة ١٨٦١. فاذا تحققت أمانيه هذه بقي في ربوعه عشرات الالوف من أبنائه وهم يستمرون على المهاجرة والانتشار في أنحاء المعمور فيما لو بقي مستعبداً ضيق النطاق لايقوم بمعاش سكانه . فشعار اللبنانيين اليوم هو « استقلال لبنان التام ضمن حدوده الطبيعية بضمانة الدول العظمى »

*
* *

واذا نال اللبنانيون استقلالهم التام والأقاليم التي يطلبون ضمها الى لبنان بقي أن تطرح على بساط البحث مسئلة تنظيم حكومة بلادهم وماذا يكون شكلها امارة أم جمهورية

ان الأمير اما أن يكون مطلق السلطة واما أن يكون دستورياً. ولا يعقل في هذا العصر عصر النور والرقي أن شعباً يغار على كرامته ولا يزال في فجر عهد الحرية التامة يكبل نفسه بقيود العبودية فيختار لنفسه أميراً مطلق السلطة. ثم ان الدول العظمى التي اتحدت لهدم آخر صرح للاستبداد لا تسمح لأي دولة جديدة مهما كانت صغيرة أن تنشئ لها تحت ظل تلك الدول حكومة مطلقة السلطة. ولذا لا يمكن أن يكون للبنان الا امارة دستورية أي أن تكون السلطة في يد وزارة مسئولة أمام نواب الشعب تحت اشراف الأمير

ويفضل بعضهم أميراً أجنبياً على أمير من أبناء البلاد. ولكن اذا كان الفينيقيون وأحفادهم اللبنانيون حكموا نفسهم بنفسهم خلال ٤٥ قرناً لماذا يختار لبنانيو القرن العشرين – وفيهم كثيرون من ذوي الرقي الأدبي العالي – رجلاً من خارج بلادهم ليسلموا اليه مقاليد أمورهم معلنين بذلك أنهم دون أجدادهم وآبائهم مقدرةً في ادارة الشؤون العمومية! ان التاريخ يقدم لنا من هذا القبيل عظات جديرة بالتأمل فان الأمير الأجنبي يظل دائماً عرضة لتأثير الجنس والأسرة ويحتاط بمستشارين من أمته أو ميالين اليها ويملأ جميع الادارات والدوائر برجال من أبناء وطنه يحتقرون أهل البلاد، ويؤثر آراءهم على آراء الموظفين الوطنيين المسئولين وأحياناً يفضل مصلحة بلاده الأصلية أو بلاد أسرته على مصلحة البلاد التي اختارها له موطناً جديداً

وخطر هذه المحذورات ذات الشأن يكفي وحده لنبذ فكرة اختيار أمير أجنبي لبلاد متمتعة بحكومة ثابتة ومنظمة أحسن تنظيم فكم تكون المصاعب أشد في وجه أمير مهمته أن يعيد بناء جميع أجزاء الهيكل الاداري والمالي في بلاد خربها الحرب والجوع وهو يجهل جغرافيتها وتاريخها وأخلاق سكانها وتقاليدهم وأمانيهم وأجناسهم المختلفة ولغتهم ؟ وعلى أي الرجال يعتمد في تنظيم البلاد وهو لا يعرف صفاتهم ولا جدارتهم ولا منزلتهم الأدبية ؟ وقد يضطر بفعل التوصية والدسائس التي تدس حوله أن يختار رجالاً ربما لا يكونون اكفاء لانجاز العمل العظيم الملقى على عاتقهم فيعيدون تمثيل الفضائح التي لطخت عهد بعض متصرفي لبنان الأجانب

وبعض اللبنانيين المتشبعين بروح المساواة يحبذون انشاء حكومة جمهورية في لبنان . والاعتراض الوحيد على هـذا الشكل من الحكومات هو انه قد لا يرتاح اليه اللبنانيون من غير المسيحيين

على انهُ سواءٌ كان للبنان امارة دستورية أو حكومة جمهورية يكون الحكم فيه على المبادئ الدمقراطية والفرق بين هذه وتلك انما يكون في الشكل فقط وليس في الجوهر

تُنشأ في بادئ الأمر حكومة موقتة لتحافظ على النظام بواسطة قوة عسكرية تتألف من بقايا الشرطة اللبنانية ولتدعو جمعية وطنية تقرر هل تكون الحكومة جمهورية أم امارة وان كانت امارة هل يكون الأمير أجنبياً أم من أبناء البلاد وهل ينتقل الحكم بطريق الارث بحق البكرية الى نسل أول أمير يحكم البلاد. وللجمعية الوطنية هذه أن تختار أول أمير أو أول رئيس جمهورية للبنان . واذا أسفر أول اقتراع عن عدد كبير من المرشحين لم ينل أحـد منهم الأغلبية

المطلقة من أصوات أعضاء الجمعية يعاد الاقتراع بعد حذف أسماء المرشحين الذين نالوا أصواتاً أقل من غيرهم وهكذا يعاد الاقتراع ثالثاً فرابعاً بعد حذف أسماء بعض المرشحين على هذا النحو الى أن ينال أحد المرشحين الأغلبية المطلقة

وبعد ما يُنتخب رئيس الدولة يختار هذا الرئيس رئيس الوزارة وهذا يؤلف هيئة الوزارة من رجال يثق بهم ثم ينظم كل وزير وزارته ويعين أو يقترح تعيين الموظفين . وأول أمر تهتم به الحكومة هو أن تضع مشروع دستور[1] وتعرضه على الجمعية الوطنية

ويرى بعضهم أن الشعب اللبناني لم يبلغ من الرقي درجة يحسن فيها استعمال النظام النيابي كما هو شائع في أوروبا وأن الأوفق أن لا تؤلف فيه منذ البداية مجالس ذات قرارات نافذة، لها حق الموافقة على مشروعات القوانين أو رفضها ويكون الوزراء مسئولين أمامها، بل أن تؤلف جمعية تشريعية تتناقش في الميزانية ومشروعات القوانين وتبدي رأيها ورغائبها بخصوصها، على أن القرارات التي تتخذها هذه الجمعية لا تربط الحكومة بل تبقى الحكومة مخيرة بين أن تعمل بها أو أن تتجاوز عنها ولكن يجب عليها اذا تجاوزت عنها أن تبين للجمعية الأسباب التي حملتها على عدم الأخذ بقراراتها . ثم كلما تدرج الشعب في حسن استعمال النظام النيابي توسع سلطة الجمعية المذكورة

فهذه المسئلة ذات الأهمية الكبرى تحلها الجمعية الوطنية إذ تقرر هل الأوفق أن تُعطى الحكومة سلطة شبه مطلقة لاعوام تحددها الجمعية أو أن الوقت قد حان ليلقي لبنان على عاتق نواب الشعب جميع الواجبات المتعلقة بمهمتهم ويمنحهم كل امتيازاتها ولاسيما حق التشريع ومراقبة أعمال الحكومة.

---

(١) انظر في الملحق الرابع الاقتراحات بشأن دستور اساسي للبنان

فان قررت الجمعية الأمر الثاني تعطى السلطــة التشريعية لمجلس نواب ومجلس شيوخ

وينتخب كل اقليم نوابه بالاقتراع العام باعتبار نائب عن كل ٢٠,٠٠٠ نفس أو كسور هذا العدد يزيد على عشرة آلاف نفس. وتكون مدة النواب أربعة أعوام متى انتهت يقوم الشعب بعمل انتخابات عامــة . ويكون عدد أعضاء مجلس الشيوخ نصف عدد النواب. ويُنتخب أعضاء مجلس الشيوخ في الدرجة الثانية ويتولى هذا الانتخاب طبقة مخصوصة من الأمــة وتكون مدة العضوية ستة أعوام ويتجدد نصف المجلس كل ثلاثة أعوام

ولا ريب أن الحكومة اللبنانية ستحتاج في مدى عدة أعوام الى اختصاصيين أجانب يساعدونها على تنظيم المالية والقضاء والمعارف ودوائر الزراعة والتجارة والصناعة والصحة والشرطة والجيش ولاجراء الأشغال ذات المنافع العمومية. ولكن سلطة أولئك الاختصاصيين تحدد تحديداً دقيقاً فتكون مهمتهم قاصرة على أن يمدوا رؤساء الدوائر بآرائهم ولا يكون لهم من السلطة التنفيذية الأ بقدر ما تراه الحكومة اللبنانية ضرورياً

ولأجل اقامة العدل وضمان عدم المحاباة واكتساب ثقة الأجانب يُنتخب القضاة اللبنانيون بكل عناية من بين المتشرعين الوطنيين المعروفين بالعلم والنزاهة ثم يجب أن يكون في القضاء عدد كاف من الأجانب

ويجب أن يكون أساس تنظيم الحكومة اللبنانية ووضع دستور البلاد على مبدإ الاتحاد والوفاق بين جميع عناصر الأمة والمساواة التامة بين جميع الأفراد أمام القانون وفتح أبواب كل الوظائف العمومية للجميع دون تمييز. وتصان مصالح الأقليات بادخال نظام التمثيل النسبي لجميع طوائف الأمة في

الجمعيات التشريعية . وقد يروق بعض المتخوفين وذوي الاغراض أن يهولوا بشبح اختلاف العناصر وتضارب المذاهب في لبنان فيزعموا أن تعدد الطوائف المتنافسة يحول دون الاتحاد القومي والتضامن الوطني اللذين لا غنى عنهما للشعب اللبناني لكي يصبح قادراً على ادارة شؤونه بنفسه . فلا يُعبأ بهذا الظن اذ ان الطبقة المتعلمة من اللبنانيين سواء كانت في لبنان أو في الخارج مترفعة متنزهة عن هذه الفوارق في أمة واحدة . أما في عامة الشعب فان انتشار العلم في لبنان ، واتساع نطاق سبل المواصلات التي تجمع بين أطرافه وتجعلها على اتصال دائم ، والرزايا والبلايا والأهوال التي حلت بجميع طبقات الشعب اللبناني على اختلاف عناصره مدة هذه الحرب الطاحنة ، كل هذه الأسباب قد أخمدت الأحقاد الطائفية فتنطفئ جذوتها تماماً على ممر الأيام ويسود الائتلاف بين أفراده فينسى اللبنانيون أنهم مسلمون أو دروز أو مسيحيون من كنائس مختلفة ولا يذكرون الاّ أنهم وطنيون لبنانيون فيتحدون ويتآزرون عاملين يداً واحدة على انهاض وطنهم ودفعه في معارج الترقي والفلاح

***

ومتى استقل لبنان استقلاله التام واتسع الى حدوده الطبيعية تصبح مساحته ١٢ ألف كيلومتر مربع فيها من السكان ٧٥٤ ألف نفس أي بمعدل ٦٣ ساكناً في الكيلومتر المربع الواحد . أما الأراضي التي ستضم الى لبنان في ما خلا مدينة بيروت الآهلة بالسكان فان مساحتها ٨ آلاف كيلومتر مربع فيها من السكان ١٨٤ ألف نسمة أي ان في كل كيلومتر مربع ٢٣ شخصاً . وقد مر بنا ان هذا المعدل من السكان يهبط الى ١٢ بل الى ١١ نسمة في الكيلومتر المربع من سهول البقاع وبعلبك الخصبة . ولكن متى صارت تلك

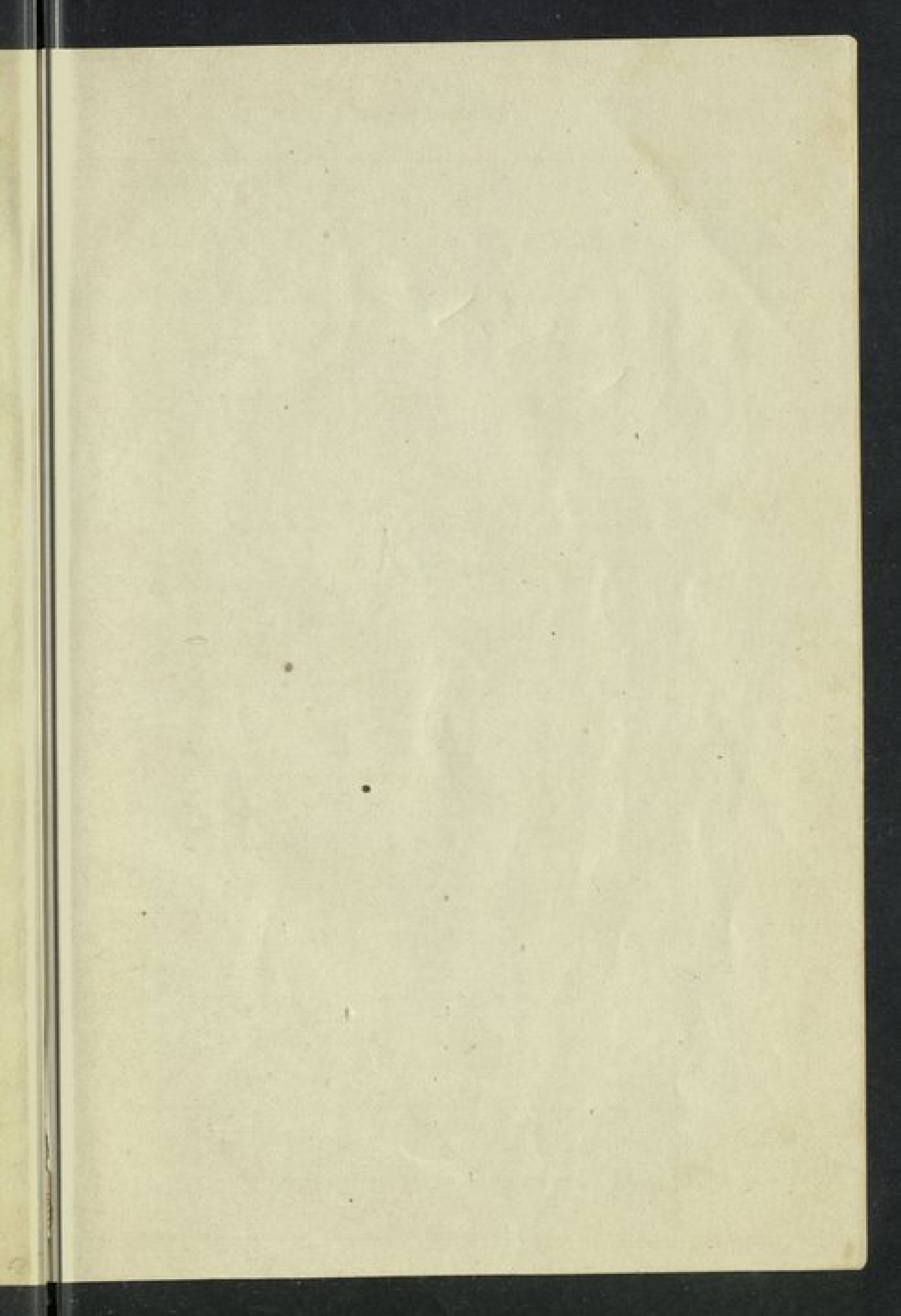
الأراضي في يد حكومة قوية نزيهة توّاقة الى تقدم البلاد وترقيتها مادياً وأدبياً ستحفل السهول بالسكان، وهي تكاد اليوم تكون خاوية، وتنحدر اليها جموع أهالي الجبال فيعمرونها وتكثر المزروعات في الأراضي البائرة الآن . ولا ريب ان الثلاثمائة ألف مهاجر من اللبنانيين الذين نزحوا عن وطنهم سيعود منهم عدد كبير الى مسقط رأسهم ويجدون بحبوحة العيش في تلك الأراضي الواسعة بل ان أهالي البلاد المجاورة يتسابقون الى لبنان الغد ويستوطنونه رغبة في التمتع بحياة رغد واطمئنان بظل قوانين عادلة مساوية بين الجميع وعلى يقين أنهم يحصلون بسهولة على رزقهم بالعمل والجد . ويؤكد بعض العلماء أن سوريا في الزمن القديم كانت تضم من ١٥ الى ٢٠ مليوناً من السكان حيث لا يوجد الآن اكثر من ثلاثة ملايين ونصف مليون على أعظم تقدير . فيجوز لنا والحالة هذه أن نتوقع اليوم الذي فيه يصبح في لبنان بعد توسيعه مليونان من السكان بفضل المهاجرة اليه وبفضل كثرة النسل بين الطوائف التي تقطنه

وتقدر موارد ميزانية لبنان الغد بسبعة عشر مليون فرنك ولكن لا يمضي قليل من الزمن حتى يكون مسح البلاد العام قد يسّر تعديل ضرائب الأملاك على قاعدة عادلة ويكون أُصلح النظام المالي ونُظمت طريقة جباية الأموال بفرض عوائد مقررة بدلاً من الطريقة الجائرة المستبدة القائمة على تضمين عشور الغلال وتكون الضريبة على الايراد وعوائد المباني ورسوم نقل الملكيات والتركات واحتكارات الدخان وعود الكبريت وورق اللعب والبارود والرسوم على الأشربة الروحية وغير ذلك من العوائد قد أسفرت عن نتيجة حسنة واكثرت موارد الخزانة العمومية وتكون وُضعت مراقبة

شديدة على جباية رسوم الجمارك وجميع الايرادات بوجه عام فتوقع تحت طائلة القانون الصارم كل غش وتلاعب . وحينئذٍ تزداد ايرادات الميزانية وتنمو بنسبة ازدياد عدد السكان وتوافر الثروة العمومية فتتمكن الحكومة من اجراء الاصلاح في جميع فروع الادارة ومن تقرير الإلزامية والمجانيـة للتعليم الأولي ومن مواصلة نشر التعليم الثانوي والتعليم العالي ومن انجاز الأشغال المتعلقة بتنظيف البلاد وحفظ الصحة العمومية والاشغال العائدة بالنفع على الزراعة والصناعة والتجارة وعلى زيادة رفاهية الشعب بوجه الإجمال

فيتسنى للبنان، وقد أصبحت يومئذٍ جميع مقاطعاته حافلة بالسكان سائرة على قدم النجاح والرقي، أن يرى العدل مخيماً على ربوعه وشمس الحرية مشرقة على انجاده ووهاده ورواق المساواة مبسوطاً على جميع المستظلين تحت رايته فيجد فيه كل ذي جد ونشاط واستقامة مرتعاً خصيباً ومجالاً واسعاً للعمل

ملاحق



الملحق الثالث

نظام لبنان الأساسي

ان اللجنة الدولية التي اجتمعت في بيروت على أثر حوادث سنة ١٨٦٠ وضعت مشروع قانون لتنظيم حكومة لبنان وقد أقر معتمدو النمسا وفرنسا وبريطانيا العظمى وبروسيا وروسيا في الاستانة والصدر الأعظم ممثل تركيا النص النهائي لذلك القانون المؤرخ في ٩ يونيو سنة ١٨٦١ وصدر به فرمان شاهاني

وفي سنة ١٨٦٤ لما جدد تعيين حاكم لبنان الأول داوود باشا عدل القانون المذكور فصار كما يلي :

نظام لبنان الأساسي

(٦ أيلول سنة ١٨٦٤)

المادة الاولى

يتولى ادارة لبنان حاكم مسيحي ينصبه الباب العالي ويكون مرجعه اليه رأساً . يُعطى هذا الموظف القابل العزل كل حقوق السلطة التنفيذية ويسهر على حفظ النظام والأمن العام في كل انحاء الجبل ويحصل الأموال الأميرية وبمقتضى الرخصة التي ينالها من جلالة السلطان يقيم تحت مسؤوليته مأموري الادارة وهو يولي القضاة ويعقد ويترأس مجلس الادارة المركزي ويُجري تنفيذ كل الأحكام التي تصدرها المحاكم قانونياً مع النظر الى الاستدراكات المنصوص عنها في المادة الثامنة

المادة الثانية

يكون لكل الجبل مجلس ادارة مركزي مؤلف من اثني عشر عضواً[١] مبعوثين من المديريات وتكون قسمتهم على المديريات بالنسبة الآتية :

١ و ٢ – ان كلاً من مديريتي كسروان ترسل عضواً مارونياً
٣ – مديرية جزين مارونياً ودرزياً ومسلماً
٤ – مديرية المتن مارونياً وروماً أرثوذكسياً ودرزياً ومتوالياً
٥ – الشوف درزياً
٦ – الكورة روماً أرثوذكسياً
٧ – زحلة روماً كاثوليكياً

يكلف المجلس الاداري بتوزيع الأموال الأميرية وبمراقبة ادارة الداخل والخارج وباعطاء رأيه الشوروي في كل المسائل التي يطرحها عليه الحاكم

المادة الثالثة

يقسم الجبل الى سبع دائرات ادارية وهي :

١ – الكورة بما فيها الجهة السفلى وباقي قطع الأرض المجاورة وسكانها على مذهب الروم الأرثوذكس – ما عدا بلدة القلمون الكائنة على الساحل وكل سكانها تقريباً من المسلمين

٢ – الجهة الشمالية من لبنان بما فيها جبة بشري والزاوية وبلاد البترون

٣ – الجهة الشمالية من لبنان بما فيها بلاد جبيل وجبة المنيطرة والفتوح وكسروان ذاته حتى نهر الكلب

---

(١) كان عدد أعضاء مجلس الادارة اثني عشر عضواً فجعل أخيراً ثلاثة عشر اذ تقرر أن تنتخب مديرية دير القمر عضواً عنها

٤ً – زحلة وضواحيها
٥ً – المتن بما فيه الساحل المسيحي وأراضي القاطع وصلما
٦ً – الأراضي الكائنة في جنوبي طريق الشام حتى جزين
٧ً – جزين والتفاح

يكون في كل من هذه الدائرات مأمور اداري يقيمهُ الحاكم ويختاره من الطائفة الغالبة سواء بعدد سكانها أو أهمية أملاكها

المادة الرابعة

يصير تقسيم الدائرات الادارية الى مقاطعات تنظم مساحتها تقريباً على مساحة الأقاليم القديمة . وفي كل مقاطعة يكون مأمور يقيمهُ الحاكم بناء على انهاء رئيس الدائرة . ولكل قرية شيخ تختاره الأهالي ويوليه الحاكم

المادة الخامسة

الجميع متساوون أمام القانون . تلغى كل امتيازات الأعيان سيما المقاطعجية

المادة السادسة

يكون في الجبل ثلاث محاكم ابتدائية تؤلف كل محكمة من قاضٍ ونائب يقيمهما الحاكم ومن ستة مدافعين رسميين تنتخبهم الطوائف وفي مركز الحاكم مجلس قضائي أعلى مؤلف من ستة قضاة يختارهم ويوليهم الحاكم من الطوائف الست : المسلمين السنيين والمتاولة والموارنة والدروز والروم الأرثوذكس والروم الكاثوليك ومن ستة مدافعين رسميين تنتخبهم كل من هذه الطوائف ويضاف اليهم قاضٍ ومدافع رسمي من المذهب البروتستانتي والاسرائيلي كلما كان لأحد من هاتين الطائفتين مصلحة في الدعوى

يترأس المحكمة العليا مأمور يقيمهُ الحاكم لهذه الغاية

يحفظ للحاكم الحق بمضاعفة عدد المحاكم الابتدائيـة اذا اقتضت ذلك ظروف المكان وبتعيينه منذ الآن المحلات التي تشتغل فيها المحاكم الابتدائية الثلاث قصد اقامة العدالة بطريقة منظمة

المادة السابعة

يحكم مشايخ القرى – الذين يقومون بوظيفة قضاة صلح – بلا استئناف لغاية مائتي غرش . والدعاوى التي تتجاوز مائتي غرش تكون من اختصاص المجالس القضائية الابتدائية . والقضايا المختلطة – أي الواقعة بين أفراد ليسوا من طائفة واحدة – مهما بلغت قيمة الدعوى – تعرض مباشرة أمام المحكمة الابتدائية ما لم يتفق المتداعون على القبول بصلاحية قاضي صلح المدعى عليه . ومبدئياً يحكم في كل دعوى كل أعضاء المجلس . إلاّ أنهُ اذا كان كل المتداعين من طائفة واحدة فلهم إذ ذاك الحق برد القاضي الذي يكون من طائفة أخرى . وفي هذه الحال يجب على القضاة المردودين أن يحضروا الحكم

المادة الثامنة

في الأمور الجنائية تكون المحاكمة على ثلاث درجات : المخالفات يحكم فيها شيوخ القرى القائمون بوظيفة قضاة صلح . والجنح تحكم فيها المحاكم الابتدائية والجنايات يحكم فيها المجلس القضائي الأعلى. وأحكام هذا المجلس لايجوز اجراء تنفيذها إلاّ بعد تميم المعاملات المعتادة في سائر السلطنة

المادة التاسعة

كل دعوى تجارية تنظر فيها محكمة بيروت التجارية وكل دعوى حتى ولو كانت مدنية بين رعية أو حماية دولة أجنبية وبين أحد أهالي الجبل تجري المحاكمة فيها أمام هذه المحكمة ذاتها

الاّ أن المنازعات التي تحدث بين أهالي الجبل وبين الرعايا الأجانب يجوز - على قدر الامكان وبعد اتفاق المتداعين - أن يحصل النظر فيهما أمام مجلس تحكيم . وفي هذه الحال يجب على السلطة المحلية في لبنان وعلى قونصلاتات الدول المتحابة أن تنفذ أحكام مجلس التحكيم

أما اذا عرضت هذه المنازعات على محكمة بيروت لعدم اتفاق المتداعين على عرض خلافهم على مجلس تحكيم فالفريق الذي يخسر الدعوى يُلزم بدفع مصاريف الانتقال بمقتضى تعريفة يضعها حاكم لبنان بالاتفاق مع هيئة القونصلاتات في بيروت ويصدق عليها الباب العالي وعلى كل حال يلزم ضبط عقود الاتفاق ضبطاً قانونياً وتوقيعها من المتداعين ثم يصير تسجيلها في محكمة بيروت ومجلس الجبل الأعلى

المادة العاشرة

القضاة ينصبهم الحاكم . وأعضاء مجلس الادارة ينتخبهم شيوخ القرى في كل دائرة ادارية ، وشيوخ القرى ينتخبهم الأهالي في كل قرية

يجدد ثلث أعضاء مجلس الادارة في كل سنتين والأعضاء الخارجون يجوز اعادة انتخابهم

المادة الحادية عشرة

كل القضاة يكون لهم مرتبات واذا ثبت بعد التحقيق ان أحدهم ارتشى أو انهُ بأي عمل كان أصبح غير أهل للوظيفة فيلزم عزله ويكون فوق ذلك تحت طائلة عقوبة تناسب الذنب الذي ارتكبه

المادة الثانية عشرة

جلسات كل المجالس القضائية تكون علانيـة ويضبطها كاتب منصَّب

لهذه الغاية وعلى الكاتب المذكور أن يكون لديه سجل لكل عقود بيع العقارات ولا تكون هذه العقود قانونية ما لم تتم فيها معاملة التسجيل

المادة الثالثة عشرة

أهالي الجبل الذين يرتكبون جناية أو جنحة في سنجق آخر تجري محاكمتهم في ذلك السنجق وهكذا اذا ارتكب أهالي السناجق الأخرى جناية أو جنحة في منطقة لبنان تجري محاكمتهم أمام محاكم الجبل . وعليه فالأشخاص الوطنيون أو غير الوطنيين الذين يقترفون جنحة أو جناية في لبنان ويلجأون الى سنجق آخر فبناء على طلب حكومة الجبل تلقي القبض عليهم حكومة السنجق الذي يكونون فيه وتسلمهم الى حكومة لبنان . وهكذا اذا ارتكب أهالي الجبل أو سكان ولايات أخرى جناية أو جنحة في أي سنجق كان غير لبنان والتجأوا اليه فعلى حكومة الجبل أن تلقي القبض عليهم حالاً بناء على طلب حكومة السنجق صاحب الشأن وتسلمهم الى هذه السلطة الأخيرة . واذا تهامل مأمورو الحكومة أو تأخروا – بدون أسباب مشروعة – في تنفيذ الأوامر المتعلقة بارجاع المجرمين الى المحاكم المختصة تجري عليهم العقوبات طبقاً للقوانين كما تجري على من يحاول اخفاء هؤلاء المجرمين من ملاحقات البوليس

والخلاصة فان علاقات الادارة في لبنان مع ادارة كل من السناجق الأخرى تكون ذات العلاقات الموجودة والتي يصير استعمالها بين سائر سناجق السلطنة

المادة الرابعة عشرة

ان حفظ النظام وتنفيذ القوانين في الأوقات العادية انما يناط بالحاكم بواسطة هيئة بوليس مختلطة تؤلف بنسبة سبعة أنفار عن كل الف من السكان .

ولما كان قد تقرر الغاء طريقة التنفيذ بواسطة الحوالية والاعتياض عنها بطرق أُخرى اكراهية كالقاء القبض أو الحبس فيحرم على مأموري البوليس تحت طائلة أشد العقوبات أن يغتصبوا من الأهالي أية أجرة كانت سواء مالاً أو عيناً ويجب عليهم أن يلبسوا الكسوة الرسمية أو يكون لهم علامة ما خارجية تدل على وظيفتهم

الى أن يرى الحاكم أن الجند المحلي أصبح كفوءاً للقيام بكل ما يفرض عليه من الواجبات في الأوقات العادية تبقى العساكر الشاهنية محتلة الطرق التي بين بيروت والشام وبين صيدا وطرابلس . وتكون هذه العساكر تحت أوامر حاكم الجبل

في الظروف الغير اعتيادية ولدى الضرورة وبعد أخذ رأي مجلس الادارة المركزي يمكن الحاكم أن يطلب مساعدة العساكر النظامية من السلطة العسكرية في سوريا

على الضابط قائد هذه العساكر بذاته أن يتفق مع حاكم الجبل على ما يجب أخذه من التدابير ، ومع رعاية فكره الخاص في كل المسائل العسكرية البحتة كمسائل خطط ونظامات الجيش ، يكون تحت أمر حاكم الجبل مدة الوقت الذي يقضيه في لبنان ويعمل تحت مسؤولية هذا الأخير

تنسحب هذه العساكر من الجبل حين يعلن الحاكم رسمياً قائدها بأن قد بلغت الغاية التي من أجلها طلبوا

المادة الخامسة عشرة

لما كان الباب العالي يحتفظ بحق تحصيل الـ ٣٥٠٠ كيس بواسطة حاكم لبنان وهي قيمة المال المضروب على لبنان حالياً – الذي يجوز ابلاغه الى ٧٠٠٠

كيس متى سمحت الظروف – فمن المفهوم صريحاً أن هذا المال يخصص قبل كل شيء بمصاريف ادارة الجبل ونفقات منافعه العمومية . ولا يرجع الى خزينة الدولة الاَّ ما قد يزيد فقط

إذا كانت المصاريف العمومية الضرورية جداً لسير الادارة بنظام تزيد عن مجموع الأموال المضروبة فعلى خزينة الدولة أن تقوم بما زاد من هذه المصاريف

وبما أن البكاليك أو محاصيل الأملاك الهمايونية هي مستقلة عن الأموال المضروبة فهي تدفع لصندوق لبنان من أصل المطلوب لهذا الصندوق من خزينة الدولة

أما فيما يختص بالأشغال العمومية والنفقات الأخرى الغير اعتيادية فمن المفهوم أن الباب العالي لا يكون ملزماً بها الاَّ اذا كان قد صدق عليها

المادة السادسة عشرة

يشرع في أقرب ما يمكن باحصاء الأهالي بلدةً بلدةً وملة ملة وبمسح كل الأراضي المزروعة

المادة السابعة عشرة

اذا لم يكن من دخل في الدعوى الاَّ لأعضاء من الاكليروس العامي أو النظامي يبقى هؤلاء المتداعون المتهمون أو المدعى عليهم تحت سيطرة المحكمة الاكليريكية ما لم تطلب الأسقفية الاحالة الى المحاكم العادية

المادة الثامنة عشرة

لا يجوز للأماكن الاكليريكية أن تجير من تتعقبهم النيابة العمومية اكليريكيين كانوا أو عاميين

وضع بالاتفاق في الاستانة في ٦ أيلول سنة ١٨٦٤

عالي ، بولفر ، لافالت ، بروكش أوستين ، غولتز ، لوبانوف

الملحق الرابع

اقتراحات بشأن دستور أساسي للبنان[١]

المادة الاولى

جميع اللبنانيين متساوون أمام القانون ويقبلون في جميع المراتب والمناصب والوظائف العمومية بدون أدنى استثناء وعلى قاعدة الكفاءة

المادة الثانية

يتولى السلطة التشريعية مجلسان وهما مجلس النواب ومجلس الشيوخ

المادة الثالثة

يُنتخب مجلس النواب بالاقتراع العام في كل اقليم بموجب قوائم انتخاب يدرج فيها أسماء جميع النواب المراد انتخابهم للاقليم حسب العدد المقرر له . وتمثل في المجلس جميع الطوائف بنسبة عدد أفرادها في لبنان ويكون عدد النواب أربعين

لا يُنتخب نائباً الاّ من كان لبنانياً بالغاً من العمر ثلاثين سنة على الأقل متمتعاً بحقوقه المدنية والسياسية

يُنتخب النواب لمدة أربع سنوات

يجدد مجلس النواب برمته

---

(١) لا يعبر هذا المشروع عن رأي أي حزب من الاحزاب السياسية بل وضعه المؤلف ليبسط أفكاره الشخصية بخصوص الدستور الاساسي الذي يخلق بلبنان متى نال استقلاله التام . وهذا المشروع يمكن تطبيقه على لبنان سواء كان شكل حكومته امارة أو جمهورية ويكفي في الحالة الاولى أن تستبدل لفظة « رئيس الدولة » بلفظة « الامير » وفي الحال الثانية بلفظة « رئيس الجمهورية »

المادة الرابعة

تنتخب مجلسَ الشيوخ دائرة انتخاب خاصة وتمثّل فيه جميع الطوائف بنسبة عدد أفرادها في لبنان ويكون عدد أعضاء هذا المجلس عشرين

لا يُنتخب عضواً في مجلس الشيوخ الاّ من كان لبنانياً بالغاً من العمر أربعين سنة على الأقل متمتعاً بحقوقه المدنية والسياسية

يُنتخب أعضاء مجلس الشيوخ لمدة ست سنوات ويجدد نصفهم كل ثلاث سنوات

المادة الخامسة

لمجلس الشيوخ ولمجلس النواب أن يقترحا ويسنّا القوانين . على أن القوانين المتعلقة بالمالية يجب تقديمها أولاً الى مجلس النواب ليوافق عليها

المادة السادسة (١)

لرئيس الدولة أن يقترح القوانين كما لأعضاء مجلسي النواب والشيوخ . ويُصدر القوانين بعد أن يوافق عليها المجلسان ويسهر على تنفيذها ويتخذ الوسائل اللازمة لذلك . وله حق العفو غير ان العفو العام الذي يشمل طبقة من المذنبين لا يصدر الاّ بموجب قانون . وله التصرف بالقوة المسلحة يعين في جميع الوظائف المدنية والعسكرية على أن له أن ينيب عنه

---

(١) اذا كانت حكومة لبنان جمهورية تضاف المادة الآتية : — «المادة الخامسة المكررة : — يجب أن يكون رئيس الجمهورية لبنانياً بالغاً من العمر أربعين سنة على الاقل متمتعاً بحقوقه المدنية والسياسية . ويكون انتخابه بالاغلبية المطلقة من اصوات أعضاء مجلسي الشيوخ والنواب المجتمعين بهيئة جمعية وطنية

يكون انتخابه لمدة سبع سنوات ويجوز تجديد انتخابه»

بموجب أمر عال مَن يعين بعض طبقات من الموظفين الملكيين . ويعزل الموظفين الملكيين ما عدا الذين لا يقبلون العزل بموجب القانون. أما شروط تعيين الموظفين الملكيين والعسكريين وترقيتهم وعزلهم ومعاشات تقاعدهم فيحددها القانون

يرئس الحفلات الوطنية . وممثلوا الدول الأجنبية يعتمدون لديه

كل ما يصدر رسمياً من رئيس الدولة الاّ ما يختص بتعيين وعزل رؤساء الوزارة يجب أن يوقعه معه أحد الوزراء

المادة السابعة

يخاطب رئيس الدولة المجلسين برسائل يقرأها أحد الوزراء على منبر المجلس

يحق للوزراء أن يحضروا جلسات مجلسي النواب والشيوخ ويكون لهم حق الاقتراع فيهما ولو لم يكونوا أعضاء في أيهما . ويجوز لهم أن يستصحبوا مندوبين يعينهم رئيس الدولة بأمر عال للمناقشة في مشروع قانون معين

المادة الثامنة

يُصدر رئيس الدولة القوانين خلال الشهر الذي يلي ارسال القانون الى الحكومة بعد الموافقة عليه نهائياً . أما القوانين التي يقر كلا المجلسين باقتراع خاص ان اصدارها مستعجل فيجب على رئيس الدولة أن يصدرها خلال ثلاثة أيام

يجوز لرئيس الدولة في خلال المدة المحددة لاصدار القوانين أن يطلب الى المجلسين برسالة مبينة لأسباب طلبه أن يتناقشا من جديد في موضوع قانون ما ، ولا يجوز للمجلسين أن يرفضا اعادة هذه المناقشة

المادة التاسعة

اذا رفض مجلس النواب مشروع قانون يحق للحكومة أن تعرضه على

مجلس الشيوخ اذا لم يكن هذا المجلس هو الذي اقترح ذلك القانون . فاذا وافق مجلس الشيوخ عليه يجوز للحكومة أن تجمع المجلسين بهيئة جمعية وطنية فتقرر هذه الجمعية نهائياً بأغلبية الأصوات امّا الموافقة على مشروع القانون وامّا الرفض

يجوز للحكومة أيضاً أن تجمع المجلسين بهيئة جمعية وطنيـــة لتصدر قراراً نهائياً بأغلبية الأصوات بخصوص مشاريع القوانين التي يوافق عليها مجلس النواب ويرفضها مجلس الشيوخ

المادة العاشرة

يُصادَق على الميزانية العمومية للايرادات والمصروفات فصلاً فصلاً . ويجوز للحكومة أن تغير تخصيص الاعتمادات المفتوحة بالبنود التي يحويها فصل واحد ولكنها لا تستطيع أن تجري نقلاً بين الاعتمادات الخاصة بالمرتبـات والأجور والاعتمادات الخاصة بأنواع المصروفات الأخرى. ويجب أن لايتناول الفصل الاَّ أقلاماً متشابهة في النوع

لا يجوز أن يتضمن القانون الذي يقرر الميزانية سوى نصوص تتعلق مباشرة بتقديرات الايرادات والمصروفات دون سواها من المسائل

المادة الحادية عشرة

كل مشروع قانون يترتب عليه مصروف وكل مصروف جديد أو زيادة مصروف في الميزانية وكل حذف أو تخفيض اعتماد وارد في الميزانية لم تكن الحكومة اقترحته لا يمكن الموافقة عليه الاَّ بأغلبية ثلثي الأصوات في كل من المجلسين

المادة الثانية عشرة

اذا لم تصدر ميزانية احدى السنين المالية قبل بدء تلك السنة تُجبى الضرائب والأموال والعوائد والرسوم وسائر الايرادات كما سبق وتصرف المصروفات شهرياً منذ بداية السنة المالية الجديدة على قاعدة جزء من اثني عشر من تقديرات مصروفات العام السابق مضافاً اليها الاعتمادات الاضافية، الى أن يصدر القانون المالي الذي يقرر الميزانية

المادة الثالثة عشرة

لا يمكن فتح اعتماد فوق العادة أو اضافي الاّ بقانون خاص . على أنه يجوز خلال ارفضاض المجلسين أن تفتح اعتمادات فوق العادة أو اضافية مؤقتاً بموجب أوامر عالية من رئيس الدولة يتناقش فيها ويوافق عليها مجلس الوزراء ويبيّن فيها الموارد التي تحتسب منها الاعتمادات المطلوبة . ولكن هذه الاعتمادات لا تخصص لانشاء أقلام جديدة ويجب أن تعرض الأوامر العالية الصادرة بشأنها على المجلسين للموافقة عليها وذلك خلال الخمسة عشر يوماً الأولى من عودة المجلسين الى عقد الجلسات

المادة الرابعة عشرة

يصدر قانون بالموافقة على الحسابات الختامية لكل سنة مالية بعد ان تقفلها وتراجعها السلطات الادارية ودائرة الحسابات العليا . ويكون صدور القانون المذكور قبل نشر الميزانية الخاصة بالسنة المالية الثانية بعد السنة المتعلقة بها الحسابات التي هي موضوع القانون

المادة الخامسة عشرة

يتولى رئيس الدولة المفاوضة بشأن المعاهدات الدولية ويصادق عليها .

ويُطلع المجلسين عليها حينما تسمح بذلك مصلحة الدولة وسلامتها

معاهدات الصلح والتجارة والمعاهدات التي ترتبط بها مالية البلاد والمعاهدات المتعلقة بمجال الأشخاص وحقوق ملكية اللبنانيين في الخارج لا تصير نهائية الآ بعد أن يوافق عليها المجلسان . ولا يجوز أي التنازل عن أرض أو استبدال أو ضم أرض إلا بموجب قانون

المادة السادسة عشرة

لايجوز لرئيس الدولة أن يعلن حرباً إلاَّ بعد موافقة المجلسين

المادة السابعة عشرة

يجوز لرئيس الدولة بعد موافقة رأي مجلس الشيوخ أن يحل مجلس النواب قبل انتهاء مدته القانونية

وفي هذه الحال تُدعى دوائر الانتخاب الى الاجتماع لاعادة الانتخابات في خلال شهرين من حل المجلس ويجتمع المجلس الجديد خلال العشرة أيام من تاريخ الانتهاء من عملية الانتخاب

المادة الثامنة عشرة

ان الوزراء متضامنون في المسئولية أمام المجلسين عن سياسة الحكومة العامة ومسئولون شخصياً عن أعمالهم الشخصية[1]

المادة التاسعة عشرة

يجوز لمجلس النواب أن يطلب محاكمة الوزراء اذا اقترفوا ذنباً في خلال

---

(١) اذا كانت الحكومة جمهورية يجب أن تضاف الفقرة التالية الى المادة الثامنة عشرة : « لا يكون رئيس الجمهورية مسئولاً الآ في حال الخيانة الكبرى » وان توضع الفقرة التالية على رأس المادة التاسعة عشرة « لايحاكم رئيس الجمهورية الا امام المجلس القضائي العالي »

تأدية واجبات وظائفهم وبمناسبة القيام بها وفي هذه الحال يحاكمون أمام المجلس القضائي العالي

المادة العشرون

يؤلف المجلس القضائي العالي من الوزراء وأعضاء مجلس الشيوخ ومستشاري محكمة التميز

يرئس المجلس القضائي العالي رئيس مجلس الشيوخ

يجوز عقد المجلس القضائي العالي بأمر عال من رئيس الدولة يصدر في جلسة مجلس الوزراء، لأجل محاكمة أي شخص متهم بارتكاب جريمة ضد سلامة البلاد

المادة الحادية والعشرون (١)

يبدأ مجلسا الشيوخ والنواب اجتماعاتهما كل عام في يوم الثلثاء الثاني من شهر كانون الثاني ما لم يدعهما رئيس الدولة للاجتماع قبل ذلك

يجب أن يوالي المجلسان الاجتماعات مدة خمسة أشهر على الأقل كل سنة ويبدأ دور جلسات كل منهما وينتهي حين ابتداء وانتهاء دور الآخر

المادة الثانية والعشرون

يعلن رئيس الدولة ختام دور الجلسات . وله الحق أن يدعو المجلسين الى الانعقاد بصفة غير اعتيادية. ويجب عليه أن يدعوهما اذا طلبت ذلك، أثناء العطلة، الأغلبية المطلقة للأعضاء الذين يؤلفون كلاً من المجلسين

(١) اذا كانت الحكومة جمهورية يجب أن تضاف المادة الآتية :

«المادة العشرون المكررة — اذا خلا منصب رئاسة الجمهورية بسبب وفاة الرئيس أو بأي سبب آخر يجتمع المجلسان معاً وينتخبان في الحال رئيساً جديداً للجمهورية . وفي مدة خلو منصب الرئاسة يكون مجلس الوزراء صاحب السلطة التنفيذية»

لرئيس الدولة الحق في أن يؤجل عقد جلسات المجلسين ولكن لا يمكن أن يكون التأجيل لاكثر من شهر ولا أن يكرَّر التأجيل اكثر من مرتين في دور واحد من أدوار الجلسات

المادة الثالثة والعشرون(١)

كل اجتماع يعقده أحد المجلسين في مدة خارجة عن دور الجلسات المقرر لهما لا يكون قانونياً ويعد كأن لم يكن(٢)

المادة الرابعة والعشرون

جلسات مجلس الشيوخ ومجلس النواب علنية . الأَّ أنهُ يجوز لكل مجلس أن يجتمع بهيئة لجنة سرية اذا طلب ذلك عدد من أعضائه يحدده نظام المجلس. ثم يقرر المجلس بعد ذلك بالأغلبية المطلقة هل تعاد الجلسة علنية للمناقشة في الموضوع نفسه

المادة الخامسة والعشرون

اذا حصل طعن في انتخاب الشيوخ أو النواب يعرض الطعن على محكمة الاستئناف

---

(١) اذا كانت الحكومة جمهورية تضاف المادة الآتية :

« المادة الثانية والعشرون المكررة — قبل أن تنتهي المدة القانونية لسلطة رئيس الجمهورية بشهر على الاقل يدعى المجلسان للاجتماع بهيئة جمعية وطنية لانتخاب رئيس جديد للجمهورية

اذا لم تصدر دعوة لهذا الاجتماع تجتمع الجمعية الوطنية فى اليوم الخامس عشر قبل نهاية مدة سلطة الرئيس دون دعوة

اذا استقال رئيس الجمهورية يجتمع المجلسان فى الحال دون دعوة

واذا كان مجلس النواب محلولاً تطبيقاً للمادة السابعة عشرة من هذا الدستور وقت خلو منصب رئاسة الجمهورية يدعى في الحال الناخبون لانتخاب أعضاء مجلس النواب ويجتمع مجلس الشيوخ دون دعوة »

(٢) واذا كانت الحكومة جمهورية يضاف الى هذه المادة ما يأتي: « الاَّ في الحال المنصوص عليها في المادة السابقة »

المادة السادسة والعشرون

في كل عام ينتخب كل مجلس عمدته لمدة دور الجلسات في ذلك العام ولكل دور جلسات غير عادي يعقد قبل ابتداء الدور العادي للسنة التالية.

عند ما يجتمع المجلسان بهيئة جمعية وطنية تؤلف عمدتهما من رئيس ووكلاء وأمناء أسرار مجلس الشيوخ.

المادة السابعة والعشرون

لا يجوز محاكمة أو طلب محاكمة أي عضو من مجلسي الشيوخ والنواب بسبب الآراء التي يبديها أو بسبب تصويته في أثناء تأدية وظيفته

المادة الثامنة والعشرون

لا يجوز محاكمة أي عضو من المجلسين أو القاء القبض عليه، خلال دور الجلسات، لجناية أو جنحة الأ بعد تصريح المجلس الذي هو عضو فيه، ما لم يكن ذلك أثناء ارتكابه الجناية أو الجنحة

يؤجل اعتقال أي عضو من المجلسين أو محاكمته خلال دور الجلسات الى نهايته اذا طلب ذلك المجلس الذي هو عضو فيه

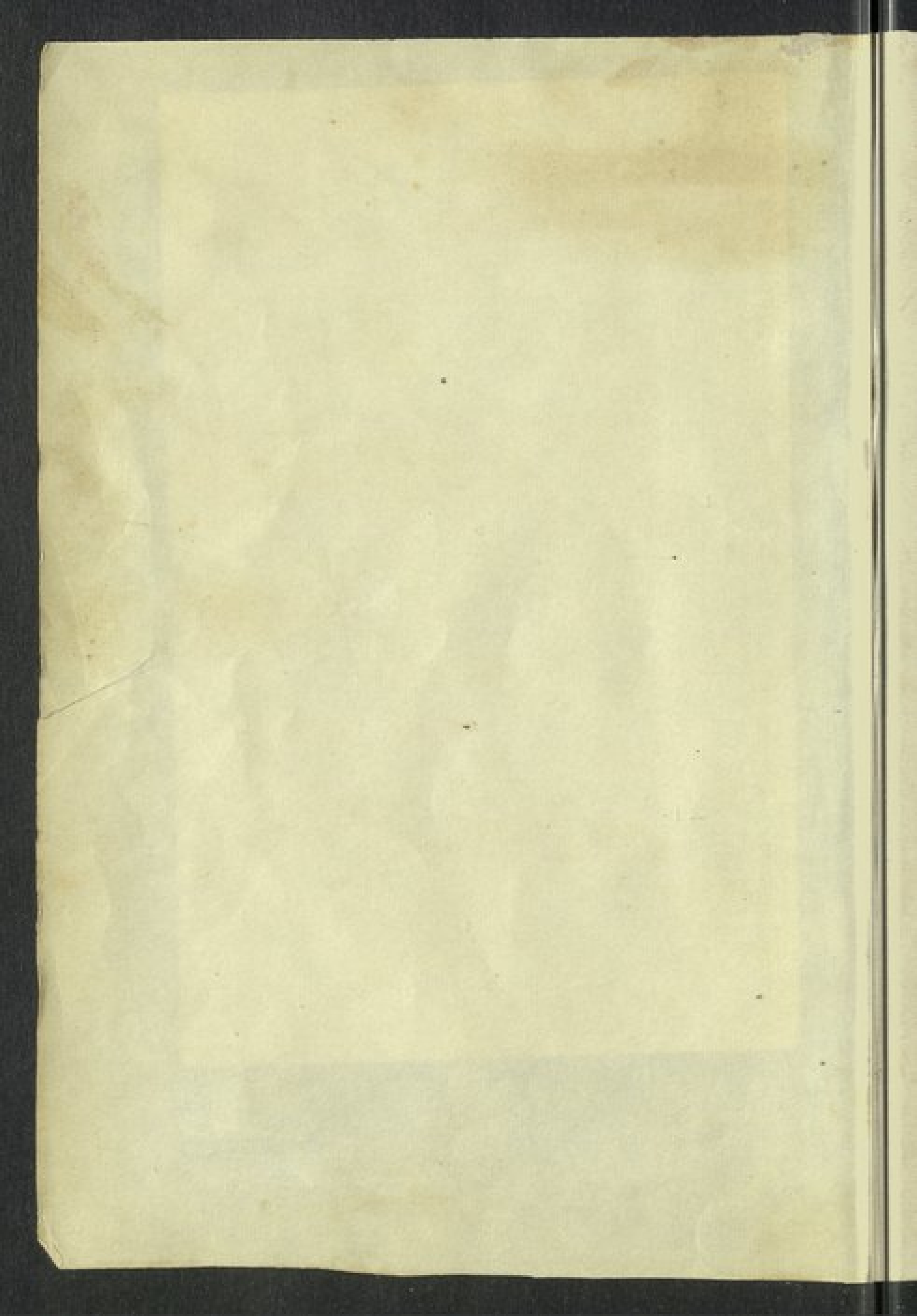
المادة التاسعة والعشرون

يحق للمجلسين بناء على قرارات يصدرها كل منهما على حدة بأغلبية الأصوات المطلقة اما من تلقاء نفسه أو بناء على طلب رئيس الدولة، أن يعلنا أن الحالة تدعو لتنقيح الدستور الأساسي. وفي هذه الحال لا يعمل بنص المادة التاسعة

وبعد أن يصدر كل من المجلسين هذا القرار يجتمعان بهيئة جمعية وطنية ليشرعا في تنقيح الدستور. والقرارات المعدلة للدستور الأساسي كله أو بعضه يجب أن تكون بأغلبية ثلثي الأصوات

فهرست

١/١٥٠٠/٦/١٩١٩




DATE DUE
JAFET LIB.
-4 OCT 2006
Circulation
JAFET LIB.
24 MAY 2013
Circulation Dept. 2
31 MAY 2009
Dept. 5
JAFET
-7 FEB 2011
Dept. 4

